أحاديث في الإعلام

معضلات الحاضر وإرهاصات المستقبل

الدكتور محمد عبده يماني

دار ثقيف للنشر والتأليف

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار ثقيف للنشر والتأليف

جميع حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة. غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات واسترجاعها، أو نقله على أي هيئة أو بأية وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة، أو ميكانيكية، أو استنساخًا أو تسجيلا، أو غيرها، إلا بإذن كتابي من صاحب حق النشر.

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

الناشر

دار ثقيف للنشر والتأليف
٤٧٦٥٤٢٢ ٤٧٦٣٤٢٨
٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧

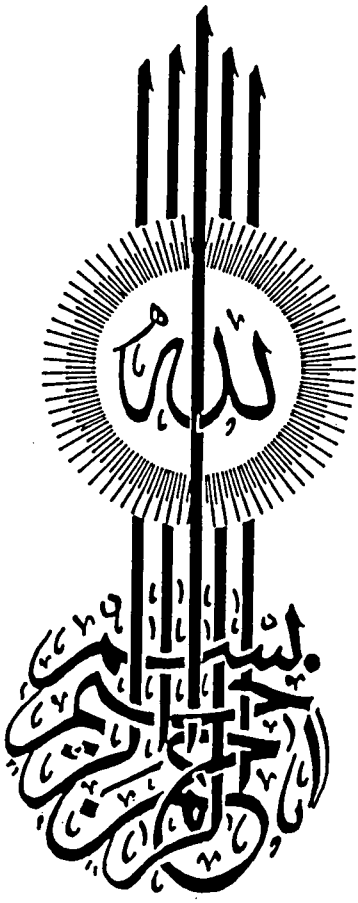
بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار ثقيف للنشر والتأليف، ١٤١٥هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

يماني، محمد عبده

أحاديث في الإعلام.

٢٠٠ص؛ ٢٤سم

ردمك X-٠٣-٦٥٣-٩٩٦٠

١ - الإعلام - العالم العربي ٢ - الإعلام الإسلامي

٣ - الغزو الفكري أ - العنوان

ديوي ١٦, ٣٠١ ١٥/١٨٣٢

رقم الإيداع: ١٥/١٨٣٢

ردمك: X-٠٣-٦٥٣-٩٩٦٠

المحتويات

المقدمة ٧

الفصل الأول: الإعلام العربي ما بعد أزمة الخليج

تمهيد ١٣

ـ أزمة الخليج بين الإعلام العربي والإعلام الغربي:
كيفية التحرك، والتغطية، والتأثير ١٥

الفصل الثاني: الإعلام العربي ـ السياسات والخطط

ـ خلفية تاريخية عن تنسيق العمل الإعلامي العربي المشترك ٢٣
ـ الحاجة إلى تطوير السياسات وتحديث الخطط الإعلامية ٢٧
ـ مهمتنا في الإعلام الخارجي ٢٩
ـ النظام الإعلامي الجديد والخلل في تدفق المعلومات ٣٩
ـ الحرية والاحترام من أهم ركائز الإعلام ٤١
ـ دور الإعلام العربي في ضوء المتغيرات العالمية ٤٣

الفصل الثالث: الإعلام والتقنية

ـ التحدي التقني ومواجهة الإعلام الوافد ٤٧
ـ صراع الأفكار يتحول إلى صراع بين التقنيات ٤٧
ـ أقمار الفضاء غزو جديد ٤٩
ـ تكنولوجيا الفضاء والغزو الإعلامي ٥٣
ـ المعادلة الإعلامية في العالم ٥٧
المواصلات السلكية واللاسلكية ٦٠
التوابع الصناعية ٦١
توزيع الترددات الإذاعية ٦١
أخطار التحكم التكنولوجي ٦٦
السيطرة على المدارات الفضائية ٦٧
الربط بين تكنولوجيا الفضاء وتكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية ٦٨
تلوث الفضاء ٦٩

- كيف يتصدى العالم العربي والإسلامي للغزو التكنولوجي؟ ٧٣
خطورة التبعية والاعتماد ٧٣
التقنية لا تشترى ولكنها تصنّع ٧٤
دور الشبكة الفضائية العربية (عرب ساب) ٧٥
التأهيل للتعامل مع تقنية الاتصال الحديثة وتطوير الإنتاج الإعلامي ٧٧

الفصل الرابع: الإعلام والمجتمع العربي

- الغزو الثقافي الوافد عبر الفضاء ٨٣
- الإعلام وثقافة الأطفال ٨٧
- الإعلام والأمن ٩٥
- التلفزيون العالمي هل يؤدي إلى نمو الجريمة في العالم العربي والإسلامي؟ ١٠٣
- الإدمان التلفزيوني ١٠٥
- دور الرقابة والمنع ١٠٧
- هل يؤثر التلفزيون العالمي في نمو الجريمة في العالم العربي؟ ١٠٩
- أثر التلفزيون عبر الأقمار على العالم العربي خاصة ١١١
- الإعلام ونمو الجريمة ١١٥
- القدوة والمثل والعبرة ١١٧
- التفسير الفيزيولوجي ١٢١
- التفسير السيكولوجي ١٢٣
- التفسير النفسي الاجتماعي ١٢٥
- ما هي الوسائل الإيجابية للتخفيف من هذه الأخطار ١٣٣

الفصل الخامس: الإعلام الإسلامي

- تمهيد ١٣٩
- المؤتمر الإسلامي لوزراء الإعلام ١٤١
- الإعلام الإسلامي والنظام العالمي الجديد ١٤٣
- حملات التنصير من خلال الإعلام ١٦٣
الجمهور المستهدف ١٦٧
مواقع التخطيط للإذاعات التبشيرية ١٧٠
مراكز التدريب ١٧٢
- أهداف الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين ١٧٥
- الخاتمة: ١٧٩

ملحق:

- ميثاق الشرف الإسلامي لأجهزة الإعلام الإسلامية والعاملين في ميادين الإعلام
في الدول الأعضاء بالمؤتمر الإسلامي لوزراء الإعلام ١٨٣
المراجع العربية ١٩٣
المراجع العربية ١٩٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد... فلقد اجتذبني ميدان الإعلام بعد خلفية علمية بحتة استغرقت جل دراساتي الأساسية وحتى حصولي على الدكتوراه في علوم الأرض أو (الجيولوجيا) واشتغالي بسلك التدريس الجامعي حتى درجة الأستاذية وإدارة جامعة الملك عبد العزيز.

ومع ذلك، فلم أشعر بفارق كبير بين العمل العلمي الأكاديمي وبين العمل الإعلامي الميداني منه والبحثي. فكلاهما يتقصّى الحقائق ويستقرىء الوقائع ويرصد الظواهر ويهدف إلى المعرفة وإلى النفع العام، هذا من الناحية النظرية والممارسة العملية.. أما في مجال العمل الإعلامي الرسمي، فإن السياسة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل أغراض الإعلام وممارساته ومن ثم تبلور أهدافه وتلون عطاءه وتؤثر في منهجه وأدائه.

والواقع، إن المناهج العلمية سواء في العلوم البحتة والتطبيقية أم في العلوم الاجتماعية والإنسانية تجمعها على اختلاف مجالات البحث العلمي وتنوعها وحدة واحدة يصعب معها الفصل أو التقسيم. وما تلك التصنيفات التي تطلق على أنواع مناهج البحث العلمي كالتجريبي والاستدلالي والوصفي والرياضي والاسترادادي.. وغيرها، إنما تطلق كلها لأغراض دراستها فحسب.

وقد استوقفني ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه: «مناهج البحث العلمي»[1] من وجود صلة وتطابق فيما يلجأ إليه كل من العالم

الطبيعي والمؤرّخ من منهج بحث واحد يطلق عليه «المنهج الاسترادادي» ويسوق للتدليل على ذلك مثالاً بعلم الجيولوجيا خصوصاً الذي يحاول الباحث فيه أن يكشف التطورات التي مرّت بها القشرة الأرضية منذ أقدم العصور، وذلك اعتماداً على الآثار المختلفة التي خلّفتها العصور الجيولوجية المتباينة في تلك القشرة.

وهو في هذا إنما يسير على المنهج نفسه الذي يسلكه المؤرّخ في المنهج الاسترادادي، لأن المؤرّخ يقوم هو الآخر بتتبّع الآثار المتخلّفة عن عصر كي يسترد حال هذا العصر كما كانت.

وإلى جانب تسليمي بمبدأ وحدة المعرفة بل وحماستي له، فقد ساعدتني خلفيتي العلمية على أن أقبل على ميدان الإعلام محاولاً استيعاب كافة محاوره وأبعاده التقنية والاجتماعية والثقافية والتربوية والتنموية.

وكان إيماني بخطورة رسالة الإعلام وتعاظم دوره دافعاً محركاً لي لمتابعة كل جديد يطرأ على ساحته. ولقد اقتضى اشتغالي بالإعلام وانشغالي به في عدة مواقع متوالية ومتوازية جمعت بين المسؤولية الوزارية من منتصف السبعينات وحتى أوائل الثمانينات (الميلادية)، إضافة إلى الممارسة العلمية من خلال المشاركات في وضع الخطط والسياسات الإعلامية، وفي حضور المؤتمرات والاجتماعات العربية والعالمية وانهماكي في البحث والمحاضرة. اقتضى ذلك كله أن استمع كثيراً وأن أبحث وأقرأ وأتأمّل أكثر، ثم أكتب وأتحدّث أقلّ.

ومع ذلك، فقد توافر لدي خلال العقود الثلاثة الماضية حصيلة من الأبحاث والمقالات التي كتبتها في أوقات مختلفة ومجموعة من الأحاديث والمحاضرات التي قدمتها في مناسبات شتى، وبعض هذه الأحاديث ألقيتها عندما كنت وزيراً للإعلام في المملكة العربية السعودية وبعضها قبل ذلك والبعض عندما تفرّغت للعمل الأكاديمي للجامعة.

وقد ألحّ عليّ أصدقاء أعزاء وإخوة أفاضل أن أجمع هذه الأفكار والخواطر بين

---

(١) عبد الرحمن بدوي. مناهج البحث العلمي. طبعة ثالثة. الكويت وكالة المطبوعات، ١٩٧٧ ص ١٧.

دفّتي كتاب واحد توثيقاً لما اعتبروه ـ فضلاً وكرماً منهم ـ ثمرة خبرات وحصيلة تجارب وأبحاث. ومن هنا، فإنها تحمل ـ في تقديرهم وحسن ظنّهم ـ قيمة مرجعية وتمثّل مصدر معرفة ونفع عسى أن يستفيد منها المشتغلون والباحثون والدارسون بالإعلام.

واستجابة لذلك، وفي سبيل إعداد هذه المقالات المتفرقة لإصدارها في كتاب، فقد اقتضى الأمر أن يعاد تصنيف المادة، وفق نظام منهجي يربط الأفكار في تسلسل منطقي يرتاح إليه القارىء والباحث على السواء.

وعلى ذلك، فقد جرى تقسيم موضوعات الكتاب إلى خمسة فصول أساسية على النحو التالي:

الفصل الأول: الإعلام العربي ما بعد أزمة الخليج.

الفصل الثاني: الإعلام العربي: السياسات والخطط.

الفصل الثالث: الإعلام والتقنية.

الفصل الرابع: الإعلام والمجتمع العربي.

الفصل الخامس: الإعلام الإسلامي.

وقد عمدت إلى استهلال الكتاب بفصل عن: الإعلام العربي ما بعد أزمة الخليج، وذلك لخطورة هذا الحدث واستمرارية سخونته وتداعياته، لأنه من ناحية أخرى يستوجب وقفة تقييمية لدور الإعلام العربي وإمكاناته. كما أن تغطية الحدث إعلامياً كانت مجالاً خصباً لاستخدام آخر ما توصّلت إليه تقنيات الاتصال والمعلومات على الجانب الغربي، بينما خاض فيه الإعلام العربي امتحاناً صعباً وصف فيه بأنه كان الحاضر الغائب.

ومع ذلك، فقد خرج إعلامنا العربي من هذا الامتحان بدروس مستفادة وتجارب ثرية. وسوف يلاحظ القارىء أن هذا الحدث الذي خصصنا له الفصل الأول سيلقي بظلاله على بقية فصول الكتاب، وذلك لما له من آثار بعيدة على الجوانب الاجتماعية والتقنية، فضلاً عن ما يفرضه من إعادة النظر في السياسات والخطط الإعلامية العربية وهزّها من الأعماق لتواكب متغيرات العصر وتطوراته، وهذا ما يقدّمه الفصل الثاني من الكتاب، حيث يعرض خلفية عن تطور العمل

الإعلامي المشترك، ويؤكد الحاجة إلى تطوير السياسات وتحديث الخطط الإعلامية ويقترح السبل والأساليب الملائمة لتحقيق ذلك، كما يعرض لمهمتنا في الإعلام الخارجي وموقع الإعلام العربي في إطار النظام الإعلامي الجديد.

بينما يتناول الفصل الثالث، الإعلام والتقنية وتحديات الإعلام الوافد، والغزو الثقافي الجديد والبث التلفزيوني المباشر، وتحكّم الدول الكبرى في التقنية وحركة اتصالات الفضاء والأقمار الصناعية ودور الشبكة العربية للاتصالات الفضائية (عرب سات).

أما الفصل الرابع، فيركّز على تأثير الإعلام على المجتمع من النواحي الثقافية والتربوية والأمنية، ويشرح أبعاد الغزو الفكري، مع محاولة لتقديم تفسيرات فيزيولوجية وسيكولوجية ونفسية واجتماعية لبعض الظواهر والمخاطر الاجتماعية ودور الإعلام في التخفيف من الأخطار والسلبيات وتوعية الجماهير.

وأفرد الفصل الخامس للحديث عن الإعلام الإسلامي، وكيفية تنسيق الجهود لدعمه وتقدّمه، كما يكشف عن أساليب التربص به وحملات التنصير من خلال الإعلام المعادي وكيفية مواجهتها. ويختتم هذا الفصل باستشراف لأهداف الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين.

وبعد، فإن هذا الكتاب يتضمّن رؤية الكاتب لدور الإعلام العربي والإسلامي انطلاقاً من رصد الواقع، ووصولاً إلى سبل دفع حركته لتحقيق أهدافه المرجوة في ضوء نظام عالمي جديد، وفي مواجهة المتغيرات والتحديات التي نعيشها في هذا العصر الذي يتّسم بتفجر المعلومات وثورة الاتصال..

آخذين في الاعتبار ما يهدّد مسيرته من مخاطر ومعوقات.. سائلين المولى القدير أن يسدّد على الحق خطانا لما فيه خير أمتنا العربية الإسلامية.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل..

الفصل الأول

الإعلام العربي ما بعد أزمة الخليج

- تمهيد
- أزمة الخليج بين الإعلام العربي والإعلام الغربي: كيفية التحرك، والتغطية، والتاثير.

تمهيد

لا شك أن للإعلام دوراً هاماً وحيوياً وخطيراً، فهو، كما يبني أشياء كثيرة في أخلاقنا وسلوكنا وتعاملنا، قد يهدم أشياء كثيرة أيضاً إذا ما أسيء استخدامه. فالله سبحانه وتعالى نبهنا إلى خطورة قول الزور، أو الاستماع إلى الفاسق، أو حتى إلقاء القول على عواهنه... وجعل الكلمة مسؤولية عظيمة لأنها قد تهدم أمة وتبني أخرى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٦)، وقال (ﷺ): «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».

ومن هذا المنطلق ينظر بعض العقلاء إلى موضوع كارثة الخليج على أنه أزمة أخلاقية وليست أزمة سياسية... وينطلق تصور هذه الفئة من الناس إلى تفكير عميق ونظرات واقعية إلى أساس المشكلة وبداياتها وتطوراتها. ولا شك أن الإعلام هو مرآة الأمة يعكس ما يدور بها من معتقدات وتصرّفات ومفاهيم.. لذلك، كان الإعلام العربي خلال هذه الأزمة مثار جدل ومحل اهتمام المتابعين له.. لأنه كان الحاضر الغائب خلال هذه الأزمة.. ولذلك أسباب كثيرة نتطرق إليها من خلال هذه الدراسة إن شاء الله والتي تستهدف إلقاء الضوء على الإعلام العربي خلال أزمة الخليج.. ومدى إمكانية تطويره في المرحلة القادمة.

أزمة الخليج
بين الإعلام العربي والإعلام الغربي:
كيفية التحرك.. والتغطية.. والتأثير

قد يكون من المنطقي أن نحاول - في البداية - رصد مؤشرات التحرك الإعلامي العربي إبان أزمة الخليج وأن نحاول تقويم تأثيره ودوره في نقل الأحداث وتداعياتها.. وفي تقديم الحقائق والتحليلات وفي مساندة القيادات والمواطن.. مقارنة بالتحرك الإعلامي الغربي.

ونبادر إلى القول بأن الإعلام العربي يمكن وصفه بأنه كان الحاضر الغائب خلال أزمة الخليج، كما سبق أن أشرنا، لدرجة أن المواطن العربي في كل مكان انصرف يفتش عن مصدر إعلامي آخر يعطيه المعلومات والأخبار والآراء.. مثل محطات الإذاعة الأميركية والأوروبية، ومحطة تلفزيون (CNN) الأميركية التي تبث الأخبار على مدار الساعة، وتعيش في قلب مسرح الأحداث وتنقلها على الهواء مباشرة طوال احتدام الأزمة، وتستقبلها المنطقة العربية رأساً أو عن طريق محطات التلفزيون العربية التي خصّصت لرسائل الـ CNN نصيباً طيباً في قنواتها الأساسية.

كذلك، كانت تشاهد هذه المحطة على شاشات التلفزيون في ١٠٥ دول في العالم. ولم تكن هذه القناة الأميركية هي الوحيدة التي اعتمدت على البث المباشر للأحداث، بل شاركت في هذا المجال قنوات إخبارية دولية أخرى، بحيث يمكن القول بأنها أصبحت ظاهرة عامة.

ولكي تُحْكِمَ القنوات الإذاعية الدولية سيطرتها على الأحداث، نجدها توظف شبكة واسعة من المراسلين وتربط بينهم وبين المركز الرئيسي بشبكة اتصالات بالغة التعقيد. وتعتمد على الشبكات الأرضية مع حجز قنوات على مدار ٢٤ ساعة يومياً وكانت لديهم محطات أرضية متنقلة.

بل إن مجموعة قنوات أميركية وأوروبية كانت تقيم محطات فضائية متنقلة في موضع الأحداث تتصل بالأقمار الصناعية لكي تنقل على الهواء مباشرة ما يجري على أرض المعارك أو ما يجري في المؤتمرات الصحفية، وتنتقل بين أكثر من موقع في ثوانٍ معدودة.. وكل هذه الإمكانات تحتاج إلى خبرة لتشغيل التقنية المتقدمة وتحتاج إلى استثمارات ودعم كبير[١]. حتى قيل إنه لم تستخدم تقنية متطورة في تغطيات إعلامية بهذا الحجم في أحداث سابقة.

وقد وُصفت حرب الخليج بأنها الحرب التلفزيونية Media War على أساس أن شبكات التلفزيون ذات القدرات الهائلة ـ الأقمار الصناعية وأساليب البث المباشر ـ كانت هي الأكثر سيطرة على الرأي العام المتابع لهذه الحرب، وكانت الأكثر تأثيراً عند نقل الأحداث لحظة بلحظة من مسرح المعارك مباشرة. ومن ثم، فقد أصبح التلفزيون وصوره المنقولة بالأقمار الصناعية هو الذي يسيطر على الرأي العام ويساهم في توجيهه وإقناعه إلى حد كبير، ومن أجل ذلك الهدف نذكر أن شبكات التلفزيون الأميركية العملاقة خاضت فيما بينها حرباً شرسة لا تقلّ حرارة عن حرب عاصفة الصحراء من أجل امتلاك أكبر مساحة من السيطرة على الرأي العام[٢].

على أن كل ما بدا في الظاهر على أنه انفتاح إعلامي وتفوق مبهر في النقل

---

(١) الإعلام العربي في عصر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، لقاء مع سعد لبيب. مجلة تليفزيون الخليج. السنة العاشرة. العدد ٣٢٢، أكتوبر ١٩٩١، ص: ١٧، ١٨.

(٢) صلاح حافظ. حرية الإعلام وأزمة الخليج. الدراسات الإعلامية. العدد ٦٣، أبريل / يونيو ١٩٩١، ص: ٥.

الحي للأحداث على الجانب الغربي، لم يكن في حقيقة الأمر انطلاقاً بلا قيود أو تحركاً بلا حدود، إذ أنه كان محكوماً بسياج حديدي من الرقابة الصارمة والفلترات التي تقدم الإعلام عن الأزمة والحرب بالمضمون والشكل الذي يخدم الهدف السياسي المنشود، كما سيتضح في ما يلي. فبرغم التفوق العسكري الهائل لقوات التحالف في كل مجال، ورغم الثقة الكاملة بالنصر، ورغم ارتفاع صيحة التدفق الحر للأنباء حتى من مسرح العمليات العسكرية، إلاّ أن الواقع الذي جرى بالنسبة للإعلام كان غير ذلك. فقد فرضت الرقابة العسكرية، على تحرك المراسلين والصحفيين الموجودين في مسرح العمليات، بشدة ودقة، فإذا بأكثر من ٢٠٠٠ إعلامي بين الرياض والظهران في وقت الحرب، وإجمالي أكثر من ستة آلاف تأشيرة إعلامي طوال فترة الغزو وحتى التحرير تواجدوا في مسرح العمليات أسرى للقوات العسكرية وأوامرها الصارمة المقيدة لحرية التغطية الإعلامية، إلاّ في الحدود التي تريد هذه القوات السماح بها.

والنتيجة، أن الصحافة والإعلام قد خرجا خاسرين من المعركة الساخنة بقدر الانتصار نفسه الذي حققته القوات العسكرية، هكذا تقول جريدة «الحياة» الصادرة في ١٩٩١/٣/٥م فتؤكد:«انتهت الحرب فخرجت الصحافة خاسرة كما يرى بعض الصحفيين والأكاديميين المهتمين بآراء أجهزة الإعلام والذين خلصوا إلى أن المسؤولين العسكريين نجحوا للمرة الأولى في التحكم بما رأى الناس وسمعوا عن هذا النزاع العسكري. لقد تمكنت السلطات العسكرية من تحقيق ذلك بطريقتين: تتمثل الأولى في اعتماد نظام عقد المؤتمرات الصحفية مرتين يومياً، مما أتاح للحكومات المعنية أن تتجاوز الصحافة، لتبث هي رسالتها الإعلامية إلى الشعب مباشرة».

أما الثانية، فتتمثل في استراتيجية السلطات العسكرية الداعية إلى الحد من وصول الصحفيين إلى ميادين المعارك، وذلك بالسماح لعدد محدود جداً من المراسلين بالتوجه مع الجنود إلى الجبهة، وقد استطاع العسكريون بذلك أن

يستحدثوا نظاماً مركزياً لإعداد التقارير الصحفية والأخبار Pool System أتاح لهم أن يحددوا الأماكن التي يمكنهم السماح للصحفيين بزيارتها والضباط والجنود الذين يمكن للصحفيين أن يتحدثوا معهم.

وأعلن الاتحاد الدولي للصحفيين ومقره لندن، ويمثل نحو ١٧٥ ألف صحفي من أنحاء العالم ـ أن نظام التقارير الصحفية والمؤتمرات المشتركة الذي تتبعه قوات التحالف يعوق تدفق المعلومات ويشكل عبئاً على الصحفيين. ومن ثم، فإن الاتحاد يعلن عن قلقه الشديد بسبب القيود المفروضة على الصحفيين الذين يغطون أنباء الحرب، وأنه لا يجب أن تستغل الرقابة العسكرية المفروضة في إخفاء الخسائر الحقيقية للحرب، وخصوصاً ما يتعلّق منها بالخسائر البشرية والأضرار الاقتصادية والاجتماعية، وأكد الاتحاد أن هذه السرية المفروضة انتهاك مباشر لحق الجمهور في أن يعلم، وأن الرقابة العسكرية بالتالي عمل لا يمكن تبريره، إلاّ فيما يتعلّق بالمعلومات التي يمكن أن تعرّض حياة وأمن العسكريين والمدنيين للخطر.

وكذلك، بثت وكالة أنباء (أسوشييتد برس) الأميركية للأنباء تقريراً يوم ١٩٩١/٢/١٢م من الظهران في المملكة العربية السعودية تقول فيه إن المعركة الحقيقية تحتدم كل يوم بين الصحفيين (نحو ٨٠٠ صحفي كما ذكرت الوكالة) وبين العسكريين في قوات التحالف، حيث يسعى الصحفيون للحصول على حقهم في تغطية الحرب، في حين يتخذ العسكريون إجراءات صارمة تقيد هذا الحق. فالعسكريون يفرضون على أي صحفي أن يكون له مرافق عسكري حتى يُسمح له بالكتابة أو التصوير، ويقيد ذلك كله الصحفيين خصوصاً الموجودين في مجموعات صحفية رسمية، يغطي ما يسمح لها به فقط، كما أن الموجودين خارج هذه المجموعات يصبح دورهم مجرد نقل ما تقدمه لهم هذه المجموعات نفسها (أي نظام Pool الذي كان يقوم على اختيار ٤٠ صحفياً فقط للتحرك مع القوات ثم العودة لإبلاغ باقي زملائهم بما رأوه وسجلوه).

وتضيف الوكالة الأميركية في نهاية تقريرها أن هذه القيود تدفع بعض الصحفيين إلى محاولة الهروب من الرقابة والانفراد بكتابة أو تصوير الموضوعات خاصة، مما يعرضهم للاحتجاز ساعات طويلة أو الاختفاء بحيث لا يعرف أحد مصيرهم.

ولعل ذلك كله يثبت أن الأهداف السياسية الكبرى تحتاج إلى إدارة كفؤة، وأن الإدارة السياسية الكفؤة تحتاج إلى إعلام قوي قادر، ليس فقط على إيصال الحقائق والمعلومات والتحليلات، ولكن أيضاً على تقديم الإعلام باللون الذي يخدم الهدف السياسي المرغوب، ويحدث ذلك في كل مكان على اتساع خريطة العالم، فليس هناك ما يسمى بالإعلام الحر الكامل الحرية.

والاختلاف الأساسي، يبقى في القدرة على التلوين بحيث يصبح اللون مقنعاً لعين المشاهد جاذباً لانتباهه وإعجابه معاً.

وبقد ما نجح الإعلام الأميركي خاصة، والغربي عامة في تكوين المواقف، وعرض الأحداث خلال أزمة الخليج، بقدر ما تخلّف الإعلام العربي، بحيث أصبحت توجه إليه الاتهامات من الجميع، من القارىء والمشاهد والمستمع العادي.

ففي الوقت الذي نجح فيه الإعلام الأميركي إلى حد كبير في تحقيق رسالته الإعلامية المتّسقة مع الهدف السياسي، ومن ثم فقد تطابقت أو تناسقت الإدارة السياسية للأزمة مع الإدارة الإعلامية في مجتمع يتحدث كثيراً عن حرية الرأي والتعبير في الاعتقاد والاجتهاد.

والحقيقة، أن الإعلام العربي نجح في الدخول إلى دائرة الإعلام الغربي عامة، والأميركي خاصة خلال الأزمة وبعدها بإرادته الحرة، وقد تكون هذه هي إحدى المرات القلائل التي مارس فيها الإعلام العربي إرادته الحرة قولاً وفعلاً[1].

---

(١) صلاح حافظ، المصدر السابق. ص: ١٧.

إلاّ أن الإعلام العربي انشق بقدر انشقاق السياسة العربية، حول أزمة الخليج، جانب مع الكويت ومناصريه، وجانب مع العراق وأتباعه.

وانصرف الإعلام العربي إلى حملات المديح والهجوم وإلى شعارات التمجيد والشجب، ونسي في غمرة هذه الصيحات رسالته الأصلية في نقل الحقائق والوقائع والمعلومات للرأي العام.. وفي تنوير المواطن بالآراء والتحليلات الموضوعية، وفشل بالتالي في إثبات صدقيته وجدارته أمام الرأي العام، المنقسم على نفسه بسبب عمق الجرح النازف الذي أحدثته الأزمة والحرب.

حينذاك.. انصرف المواطن العربي في كل مكان يفتش عن مصدر إعلامي آخر، يعطيه الجرعة اللازمة والمقنعة من المعلومات والأخبار والآراء، فإذا به يضع أصبعه على مؤشر الراديو، بحثاً عن محطات الإذاعة الأوروبية والأميركية، وإذا به يتابع بشغف هائل تلك الرسالة التلفزيونية المبهرة التي تبثها على مدار الساعة محطة CNN الأميركية التي صوّبت كل إرسالها على المنطقة العربية طوال احتدام الأزمة.

الفصل الثاني

الإعلام العربي السياسات والخطط

- خلفية تاريخية عن تنسيق العمل الإعلامي العربي المشترك.
- الحاجة إلى تطوير السياسات وتحديث الخطط الإعلامية.
- مهمتنا في الإعلام الخارجي.
- النظام الإعلامي الجديد والخلل في تدفق المعلومات.
- الحرية والاحترام من أهم ركائز الإعلام.
- دور الإعلام العربي في ضوء المتغيرات العالمية.

خلفية تاريخية عن
تنسيق العمل الإعلامي العربي المشترك

إن الدول العربية بمصادقتها على ميثاق الأمم المتحدة، ومن قبله على ميثاق جامعة الدول العربية، ومن بعده على إصدار الإعلان العالمي لحقوق الانسان، ارتضت قدراً من التنسيق لسياساتها سواء فيما بينها في إطار الجامعة العربية، أو على اتساع العالم كله. والتنسيق والتعاون اللذان نصّ عليهما ميثاق الجامعة العربية هما الأساس القانوني لكل ما تلا ذلك من محاولات التخطيط. كما أن مبادىء ميثاق جامعة الدول العربية ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة والمبادىء التي قام عليها الإعلام العالمي لحقوق الإنسان، تنير الطريق إلى الأهداف التي يمكن أن تتوخاها كل دولة عربية عند مشاركتها في التخطيط الإعلامي على المستوى القومي العربي أو المستوى الدولي.

وهناك نظرة إلى تاريخ التخطيط الإعلامي العربي تنبثق من انتماء شعوب الأمة العربية أو دول الجامعة العربية إلى العالم الثالث، وبعبارة أخرى إلى مجموعة الدول النامية مهما اختلفت وسائل تطبيقنا لمعايير الانتماء إلى هذه المجموعة، وكذلك من انتمائها إلى مجموعة البلدان غير المنحازة، ودورها التاريخي داخل المجموعتين، وفي علاقاتها ببقية دول العالم وتكتلاته. وهناك دور المجموعة العربية الأساسي وكيانها داخل المجموعة الإسلامية واشتراكها في أجهزة التخطيط الإعلامي داخل هذه المجموعة، وكذلك عضوية مجموعة من دول الجامعة العربية في منظمة الوحدة الأفريقية. وعلى الرغم من عدم وجود تنظيم

إقليمي رسمي لدول البحر المتوسط، فهناك مشروعات إقليمية مشتركة تتم عن طريق الاتحاد الدولي للمواصلات لها تأثيرها على التخطيط الإعلامي العربي على المستوى القومي، مثل شبكة اتصالات الشرق الأوسط والبحر المتوسط.

ومن الطبيعي، أن مكان المنطقة العربية في هذه الدوائر المتداخلة والمتشابكة يزيد من صعوبة التخطيط الإعلامي على المستوى القومي، ولكنه يعطيه أهمية في المقام الأول بين اعتبارات التخطيط وتجعله عنصراً ضرورياً في نظرة الأمة العربية إلى مستقبلها.

ولئن كانت مشاركة الدول العربية منفردة من وقت مبكّر في عدد من أجهزة التنسيق في مجال الاتصال، خصوصاً فيما يتعلّق بتوزيع موجات الراديو الأساس الأول لمواجهتها مجتمعة مسؤولية كبيرة من مسؤوليات التخطيط الإعلامي في المرحلة الراهنة وفي الإعداد للمستقبل، فإن نقطة البدء في تخطيط إعلامي منظّم على المستوى القومي يمكن أن تكون انعقاد المؤتمر الأول لخبراء الإعلام العرب في عام ١٩٥٩ في إطار جامعة الدول العربية. فمن هذا المؤتمر، انبثقت فكرة تشكيل لجنة دائمة للإعلام على غرار اللجان الدائمة المنصوص عليها في ميثاق جامعة الدول العربية.

وقد أوصى ذلك المؤتمر بأن تشكّل هذه اللجنة من رؤساء أجهزة الإعلام وكبار المختصين في حكومات الدول الأعضاء. وكان في مقدمة الاختصاصات التي وكّلت إليها في ذلك الوقت المبكر وضع التخطيط العام لسياسة الدعوة العربية وتنسيق جهود الدول الأعضاء في هذا الشأن.

ومن الواضح، أن الدعوة كانت هي المرادف لكلمة الإعلام في أذهان الخبراء الذين أقاموا ذلك الجهاز التخطيطي ليعمل منذ ذلك الحين في نطاق الجامعة العربية.

وارتفعت مسؤولية التخطيط المشترك إلى مستوى وزراء الإعلام عندما عقد المؤتمر الأول لوزراء الإعلام العرب في مارس / أذار ١٩٦٤م، تنفيذاً لقرار مؤتمر القمة العربي في يناير / كانون الثاني ١٩٦٤ م. وتناولت توصيات ذلك

المؤتمر الناحية التنظيمية وتحديد اختصاصات الأجهزة التخطيطية والتنفيذية والتنسيقية وعلى رأسها مجلس وزراء الإعلام تليه اللجنة الدائمة للإعلام، ثم المكتب الدائم للدعوة العربية. وأبرزت التوصيات أهمية التمويل باقتراحها إنشاء صندوق مشترك للإعلام أطلقت عليه اسم «صندوق الدعوة العربية». وأكدت التوصيات على أهمية التصديق على اتفاقية اتحاد إذاعات الدول العربية في برامجها، ودعت إلى إنشاء شبكة إذاعية عربية واتحاد لوكالات الأنباء العربية، وهيئة عربية للمعارض، ومجلس أعلى لنشر الثقافة العربية وتحوّل مشروعه عن التنفيذ إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودار عربية للنشر والتأليف والترجمة واتحاد عربي للسياحة.

وكانت الوقفة التالية في بنزرت (تونس)، عندما اجتمع وزراء الإعلام العرب في أعقاب المؤتمر الثالث لخبراء الإعلام العرب الذي عقد في تونس في شهر سبتمبر / أيلول ١٩٦٧ ليؤكّد الحاجة إلى نهج علمي وفعّال في عصر تطوّرت فيه وسائل الاتصال وأساليب الإعلام و«يعيد صياغة المبادىء والأهداف ويحدّد من جديد مهام أجهزة التخطيط والتنفيذ والأجهزة المساعدة».

ومرة رابعة، اجتمعت في عام ١٩٦٩م لجنة من المتخصصين في شؤون الإعلام أعدت تصوراً نظرياً شمل الخطوط العريضة للموضوعات الرئيسية للإعلام العربي وتصوراً عملياً شمل الخطوط العريضة لتنفيذ مبدأ المعادلة بين العائد والإنفاق في اعتمادات الإعلام، ثم تصوراً تنفيذياً لخطوات العمل الإعلامي في ظل مخطط قومي.

وكان مما تميزت به توصيات هذه اللجنة وضعها سلماً للأولويات وفقاً لاعتبارات رأت أنها تملي هذا الترتيب، وصدر بذلك قرار من وزراء الإعلام في يناير/كانون الثاني ١٩٨٠م.

ولم تلبث القضية، أي قضية التخطيط الإعلامي على المستوى القومي، أن ظهرت من جديد عندما أعدت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في نهاية عام ١٩٧٥ ورقة عمل عن خطة إعلامية عربية حتى عام ١٩٨٠ م. ودعت لمناقشتها

لجنة من الخبراء، ثم أثناء اجتمعات وزراء وكلاء مندوبين مديري إذاعات رجالات الإعلام العرب في يوليو/تموز ١٩٧٧، عندما عرضت عليهم ورقة عمل تونسية عن استراتيجية العمل الإعلامي العربي، وشكّلت لدراستها لجنة من الخبراء حللت ما فيها من أفكار وانتهت إلى ضرورة وضع برنامج تنفيذي تبحث قبل إقراره مشاكل التنفيذ التي اعترضت الخطط والبرامج التي سبق إقرارها وإعادة النظر في البنية الأساسية للجهاز الإعلامي. واتخذت اللجنة توصيات تناولت المبادىء العامة وأسلوب التحرك وقنوات الاتصال، وتوزيع المسؤوليات دون إغفال العنصر البشري وأهمية التدريب.

وفي الوقت الذي استغرقته مناقشة هذه الأفكار ظهرت إلى الوجود أجهزة عربية مشتركة ذات مهام تخطيطية إلى جانت مهامها التنسيقية والتنفيذية من بينها اتحاد إذاعات الدول العربية، واتحاد وكالات الأنباء العربية، واتحاد الصحفيين العرب، واتحاد السينمائيين التسجيليين العرب. واضطلعت إدارة الإعلام في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بدورها في ترشيد البحث حول التخطيط الإعلامي العربي، كما قامت لجنة تنسيقية من بينها لجنة النواحي غير التقنية من استخدامات الشبكة الفضائية العربية لتنهض بمهمة التنسيق بين الدول العربية في تخطيطها لبرامجها، وقيام شبكة فضائية عربية لا يقتصر التخطيط لها على الجانب الهندسي أو التقني ولا على احتياجات كل دولة على حدة، وإنما يتجاوز ذلك إلى تنسيق الاحتياجات والوفاء بها على المستوى القومي[١].

وتوالت بعد ذلك اجتماعات وزراء الإعلام العرب واجتماعات اللجنة الدائمة للإعلام التي عقدت دورتها الخمسين في شهر أغسطس ١٩٩٢م قبيل اجتماع مجلس وزراء الإعلام العرب.

---

(١) يحيى أبو بكر. التنسيق والتكامل في مجال التخطيط الإعلامي على المستوى القومي في قضية التخطيط الإعلامي في الوطن العربي. القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٠م.

الحاجة إلى تطوير السياسات وتحديث الخطط الإعلامية

لا يمكن إنكار الجهد الذي قامت به الدول العربية في مجال الإعلام خصوصاً في الثمانينات. وبالرغم من عدم توافر البيانات، إلاّ أن المعتقد أن نسبة من الاستثمارات ليست ضئيلة بحال من الأحوال قد وُجهت إلى الإعلام. وربما بلغت هذه النسبة في عدد من الدول ما يزيد على ١٠٪ من ميزانية الدولة مع الاعتراف بصعوبة تدقيقها، وما إذا كانت تتضمّن الاعتمادات المخصصة لبعض قطاعات المواصلات السلكية واللاسلكية، وغيرها من القطاعات التي تتضمّن نشاطات إعلامية لا ترد ضمن ميزانيات وزارات الإعلام. ولا ينكر هنا أنه لولا الحكومة لما أمكن سد هذه الاحتياجات، ولا كان ممكناً أساساً في معظم الأحوال أن تقوم أجهزة إعلامية عديدة في المنطقة، ولا أن تبلغ ما بلغته من تقدم[١].

تعريف السياسات الإعلامية:

وقبل الدخول في تفصيلات واقتراحات لتطوير سياسات الإعلام والاتصال في وطننا العربي، يجدر بنا أن نورد هنا تعريفاً لسياسات الإعلام، وقد يكون التعريف الذي صدر عن المؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الإعلامية في الدول العربية

(١) اليونسكو، تطوير الإعلام في الدول العربية، الاحتياجات والأولويات، إعداد يحيى أبو بكر، سعد لبيب، حمدي قنديل، باريس، اليونسكو، ١٩٨٣م.

بالخرطوم عام ١٩٨٧ م، هو أوضح التعريفات لمصطلح السياسات الإعلامية حيث جاء فيه أن «سياسات الاتصال هي مجموعات من المبادىء والمعايير التي توضع للاسترشاد بها في تشغيل نظام الاتصال وتعد الوجهة التي يعطى لها أمر أساسي وبعيد المدى حتى وإن كانت تنطوي على متضمنات تنفيذية ذات أهمية في المدى القصير. وهي تشكل في سياق النهج العام للمجتمع في الاتصال. وبالنظر إلى أنها نابعة من إيديولوجيات سياسية ومن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للبلاد والقيم التي تستند إليها، فهي تسعى لربطها بالاحتياجات الحقيقية والفرص المستقبلية للاتصال».

وتوجد سياسات الاتصال في كل مجتمع على الرغم من أنها كثيراً ما تكون كامنة ومفككة بدلاً من أن تكون مترابطة ومتّسقة بصورة واضحة. ولذلك، فإن ما هو مقترح (من وضع سياسات إعلامية أو تطويرها إن وجدت) ليس شيئاً جديداً بصفة جذرية، بل هو بالأحرى بيان صريح وصياغة مستقبلية متعمدة للممارسات المتبعة بالفعل في المجتمع[١].

أما تحويل سياسات الاتصال إلى خطط استراتيجية وميدانية باعتبارها أساس التنفيذ، فيعني به تخطيط الاتصال الذي عرّفه اجتماع للخبراء نظّمته اليونسكو بباريس عام ١٩٧٢م على النحو التالي: «يشمل تخطيط الاتصال إعداد كل من الخطط طويلة الأجل وقصيرته أي (الاستراتيجية والتنفيذية)، من أجل استخدام الكفؤ والعادل لموارد الاتصال، وذلك في سياق أهداف مجتمع معين ووسائله وأولوياته ومراعاة أشكال التنظيم الاجتماعي والسياسي السائدة فيه».

ومن الأمور الحاسمة بالنسبة لهذا العملية التنسيق بين تخطيط الاتصال وبين التخطيط للقطاعات الأخرى التي تستخدم وسائل الاتصال أو تستفيد منها، وكذلك بينه وبين التخطيط المتكامل للتنمية بصورة إجمالية.

---

(١) استند هذا التعريف إلى نص وضعه خبراء لمنظمة اليونسكو في اجتماع لهم بمقر المنظمة بباريس عام ١٩٧٢م.

مهمتنا في الإعلام الخارجي

يفهم من الإعلام الخارجي تحرّك الإعلام لإعطاء صورة في الخارج عن الدول المعلمة ـ أي صاحبة الرسالة الإعلامية ـ ولا يشترط وفقاً لهذا التعريف أن يكون ضرورياً التحرك لتحقيق أهداف الإعلام الخارجي خارج حدود الدولة المعلمة. إذ أن بعض أوجه النشاط الإعلامي في الداخل يحقّق هذه الأهداف أو يسهم في تحقيقها.

فمثلاً، استقدام الوفود أو استضافتها، وعقد ندوات في الداخل تشارك فيها وفود أجنبية، ودعوة الصحفيين العالميين... الخ.

كل هذه أنشطة تتم في الداخل ولكن العين فيها تكون على ما يمكن أن يتحقق من ورائها من أثر إعلامي في الخارج.. وكل دول العالم، بدرجات متفاوتة من النجاح والإخفاق، تنشط إعلامياً لأهداف التأثير في الرأي العام العالمي وعرض صورتها عليه، وتحقيق قدر منشود من تفهمه لأوضاعها الداخلية أو سياساتها الخارجية.

والهدف الأشمل من هذا هو تحقيق التفاهم، ودعم أواصر الأخوة الإنسانية مع المجتمع الدولي ككل. وليس هذا هدفاً «مثالياً» فحسب، وإنما له مردود إيجابي في مجال القضايا والمصالح المباشرة للدولة صاحبة الرسالة.

وفي اعتقادي أن أفضل إعلام خارجي هو الذي يقوم على أساس تأكيد المنافع وترابط المصالح في المجتمع الدولي. إن القضايا المجردة لا تحظى إلاّ باهتمام القلة، ولكن حتى هذه القضايا إذا أمكن ربطها بالمصلحة المباشرة للجمهور المستهدف من الإعلام، فإنها تدخل في بؤرة اهتمامه، وتستقطبه، وتضطره إلى اتخاذ موقف منها يكون ملائماً لصاحب الرسالة الإعلامية، بقدر ما يكون قد نجح في الدلالة على الترابط المصلحي بين مضمون الرسالة والجمهور المستهدف منها.

ولأن الإعلام الخارجي يتوخى خدمة مصالح الدولة صاحبة الرسالة الإعلامية ومصالحها في المجتمع الدولي، وبغيره يظل المجتمع الدولي موصد الأبواب أو متبلد المشاعر تجاه هذه المصالح والسياسات، فإن بعض الدول تلجأ إلى الإساءة إلى مضمون الرسالة الإعلامية وتشويه الحقائق فيها **لتحقيق نوع من الإثارة يساعد على وصول الرسالة إلى غايتها في إطار جمهورها المستهدف.**

وهذا هو ما اصطلح على تسميته بـ «الدعاية السوداء» التي تقوم على الكذب والتلفيق، وخلق أوهام عامة وتسخيرها لخدمة مضمون الرسالة. كأن تجيء دولة في حالة حرب مع دولة أخرى فتعلن بين جنودها أن رئيس هذه الدولة الأخيرة قد مات أو اغتيل، أو أن قائد الجيش في الميدان قد قتل، بينما هي تعلم يقيناً أن هذا غير صحيح، ولكنها تذيعه لإشاعة البلبلة في صفوف العدو، وتشتيت صفه ولرفع الروح المعنوية في جيشها المقاتل الذي ربما يكون قد خامره بعض اليأس من النصر بسبب ما هو معروف عن العدو من عناد ودهاء وصلابة.. الخ. أو كأن تجيء الصهيونية، مثلاً، فترفع وهماً اسمه معاداة السامية، وهو أمر لا وجود له الآن في العالم كله، ثم تسخّر هذا الوهم في ضرب خصومها، وإحراجهم وإسقاطهم، وشلّهم، والحيلولة بينهم وبين إبداء رأي موضوعي من أية قضية تمسّ المخطط الصهيوني العالمي.. الخ.

وبالطبع، فإن **إعلامنا الخارجي**، والداخلي بطبيعة الحال، ينأى عن هذه الحيل الإعلامية المنحرفة ويحرص على الصدق والنظافة سواء من حيث المضمون أو من حيث الوسيلة. ورائدنا في ذلك أولاً ديننا الحنيف وقيمه ومثله وما تعلمناه منه من صدق وأمانة والتزام يشرف الانسانية كلها، وثانياً إن دولتنا العريقة والناهضة في الوقت نفسه ليس لها أهداف داخل المجتمع الدولي تتناقض مع مصالحه والمبادىء الإنسانية النظيفة والمتفق عليها في ميثاق الأمم المتحدة.

وحين يلتقي هذان العاملان: الدين والحرص على الإنسانية، وهما عاملان يتكاملان في وجداننا لأن ديننا يحض على التكافل الإنساني الشريف، فإنا لا نجد داعياً لابتكار مضمون إعلامي ملفّق أو اختراعه أو اللجوء إلى وسيلة غير شريفة أو منحرفة لتوصيل مضمون رسالتنا الإعلامية إلى إخوتنا في الإنسانية وأخواتنا. وإنما يأتي الحرص على الانحراف، مضموناً ووسيلة، من منطلق الحرص على الترويج لأهداف منحرفة، أو على خدمة سياسات توسعية أو خطط تآمرية، أو التدليس لابتزاز منافع بغير وجه حق، أو اغتصاب حقوق مشروعة.

ونحن، وإن كنا نرفض رفضاً باتاً هذه الأساليب والمضامين انطلاقاً من الدين القويم والأهداف السياسية النظيفة والمستقيمة، فإننا ندرك أن الدعاية السوداء قد تبهر للحظة ولكنها ترتد كالطلقة الفاسدة إلى صدر صاحبها، ليس فقط على المدى البعيد، وإنما على المدى القصير ذاته. ذلك بأن الجمهور المستهدف إذا آنس الكذب في صاحب الرسالة، فإنه لن يصدقه حتى لو تخلى بعد ذلك عن التلفيق والدس والتزم الحقيقة. وهذا هو أسوأ وضع يمكن أن يوجد فيه إعلام ما... أن يصطدم بجمهور رافض غير مصدق، تنزلق فيه الرسائل الإعلامية فوق سطوح ملساء دون تأثير. ولذلك، فنحن نؤمن من منطلق الحرفية الإعلامية أيضاً أن الصدق فضيلة قد تتعثر في غاية العلاقات الإنسانية المعقّدة بعض الوقت ولكنها تصل بالرسالة الإعلامية إلى عمق الضمير الانساني مع شيء من التصميم، والمثابرة، والإلحاح بِها، في إطار من قوة الإقناع، وعبر وسائل عصرية مخولة للتأثير بحرفيتها، أو بما تقوم عليه من تكنولوجيا متطورة.

وهكذا، فإن الدين والالتزام والإنساني والمضمون الإعلامي الصحيح كلها تتضافر لتكوّن منهجنا الإعلامي. ويمكن أن نضع هذا كله تحت عنوان واحد وهو «**القدوة الإسلامية في إعلامنا**»، ذلك بأن هذه القدوة هي التي تجعل منطلقاتنا ومضامين رسائلنا الإعلامية ووسائلها نظيفة ونبيلة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].. ومعنى هذا أننا مطالبون برسالة إعلامية للناس، وأن ديننا يحتّم أن يكون مضمون هذه الرسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار الالتزام بالإيمان بالله.. وبالطبع، فإن هذه القدوة الإسلامية التي تحكم إعلامنا، وتسدّد خطاه، وتشق له دربه، يجب أن تكون نصب أعيننا فيما يتعلق بالإعلام الخارجي أيضاً، بل وأساساً لأننا خير أمة بين الأمم وأن علينا رسالة بين هذه الأمم أي على صعيد المجتمع الإنساني كله، وهذه الرسالة تتلخص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولأن رسالتنا الإعلامية في الخارج ذات مضمون بمثل هذا القدر من الشرف والأمانة والإنسانية، فإننا نتوقع لها النجاح في النهاية، ومهما صادفت من عقبات لا يمكن إلا أن تكون مؤقتة بشرط أن نحرص على تطوير وسائل نقل رسالتنا الإعلامية، وجعلها متكافئة مع أحدث ما وصل إليه التطور التكنولوجي العالمي.

ومن المهم أن نشير هنا، إلى أن الإعلام الخارجي والسياسة الخارجية صنوان لا يفترقان، وإن سبق أحدهما ولحق به الآخر في بعض الأحيان. ذلك بأن الإعلام تعبير عن سياسة الدولة في مجتمعاتنا، سواء كانت هذه السياسة داخلية أو خارجية، وهو أحياناً يسبق السياسة الخارجية ليمهد لها الأرض، وأحياناً أخرى يلحق بها ليدعمها ويحشد لها ويزكيها. وليس معنى ذلك أن الإعلام تابع دائماً أبداً، فرجل الإعلام الواعي الذكي، المستوعب لأحلام أمته وآمالها وأمانيها يستطيع أن يمضي في طرح الأفكار، والتحليل ومناقشة القضايا، مما يخلق خلفية فكرية وثقافية وعلمية مناسبة لاتخاذ القرار السياسي أو الإداري المناسب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

ولهذا، فأنا أؤمن بأن التحرّك الإعلامي والتحرك الدبلوماسي صنوان لا يفترقان. إذ من هو الدبلوماسي الناجح؟ هو الذي يستطيع أن يبشر ويقنع، وكذلك رجل الإعلام الناجح، كلاهما مطلوب منه القدرة على التبشير بفكرة أصبحت سياسية، أو بسياسة غدت في صدر رجل الإعلام فكرة واقتناعاً..

وما دمنا نتحدث عن «رجل الإعلام»، فإني أريد أن أعبّر عن قناعة خاصة وهي أن رجل الإعلام في يقيني ليس هو هذا الذي يعمل في إطار أجهزة وزارة الإعلام بالاحتراف أو بالهواية، وإنما هو كل إنسان، رجلاً كان أو امرأة، يحمل في صدره فكرة يريد نشرها، والدفاع عنها بالاتصال الشخصي أو بالخطابة أو من خلال أية وسيلة متاحة له. وأسعد وضع لأية أمة هو هذا الوضع الذي يصبح فيه كل المواطنين قادة مبشرين برسالات أمتهم، وسياساتهم، ومناهجها وخططها الاجتماعية والاقتصادية، ومضامين ثقافتها الخاصة. وآية ذلك، أنك واحد في كل جهاز من أجهزة الإعلام نتاج حشد ممن لا يعملون أصلاً فيه. وإنما هم متطوعون بالفكر وبالجهد أو متحمسون لموقف يبغون تزكيته، ونشره وحشد الناس له.

ومثل هؤلاء كثيرون جداً في النوادي الثقافية أو الأدبية، بل وفي البيوت والشوارع. فحيثما يدور نقاش بين اثنين لكل منهما فكرة يكون كل منهما رجل إعلام ساع إلى بث فكرته.. وإنما تختلف الوسائل فقط، كما تختلف القدرات والكفاءات الشخصية.

فإذا اتفقنا على أن الدبلوماسية إعلام، والإعلام دبلوماسية، بمعنى من المعاني، وعلى أن كل مواطن هو في ذاته رجل إعلام على نحو وبقدر، فإن ثمة عدة نتائج يمكن ترتيبها على هذا الاتفاق، وهذه النتائج هي:

أولاً: إنه يجب استثمار علاقاتنا مع الدول الأخرى، وهي علاقات يحكمها العمل الدبلوماسي في جملتها، من أجل إعطاء صورة ناصعة وحقيقية ومشرفة لبلادنا. ونحن نلاحظ أن تكامل الإعلام والدبلوماسية في هذا المجال يصل أو

يجب أن يصل إلى قمته وأرحب ساحاته. وقد يقتضي تحقيق هذا التكامل التنسيق، بل هو يقتضيه حتماً، ولكنه يتطلب قبل ذلك وبعده القدرة على المبادرة الذاتية سواء من جانب الدبلوماسي أو الإعلامي. فمهما وضعنا القواعد والأسس التي تحكم التعاون بين الرجلين في الخارج، فلا شيء أجدى من همة شخصية تحفز كلاً منهما على العمل، والالتقاء في ساحة تكريم الوطن والذود عنه في المجتمعات الأجنبية. ولهذا، فإن الاختيار عنصر مهم في العملية الإعلامية كما في العملية الدبلوماسية، وهو اختيار تحكمه عوامل حاسمة كالصدق في الوطنية، والرغبة في العطاء، والثقافة الرحبة العميقة في كل المجالات، والإلمام الدقيق ليس فقط بقضايا الوطن وإنما بقضايا واهتمامات المجتمعات التي يتحرك فيها الدبلوماسيون ورجال الإعلام، ويلتقون على ساحتها لخدمة أهداف وطنهم وسياساته، وتكريمه.

ثانياً: ويدعونا هذا إلى الحديث عن دور سفاراتنا في الخارج، وهو دور حاسم في العملية الإعلامية برمتها من زوايا عديدة. فنحن أولاً، إذا أردنا التعاون مع صحيفة أو شخص أو جهة ما في الخارج نعتبر أن سفاراتنا هي عيوننا التي نرى بها ونبعث إليها نسألها رأيها في الشخص أو الجهة، ونستطلعها ما تراه بالنسبة لجدوى التعاون معها أو معه. ورأيها في هذا الصدد هام وحاسم. ونحن ثانياً، إذا أردنا أن نعقد ندوة إعلامية في الخارج، فإن سفاراتنا هي على رأس الجهات التي نسند إليها دوراً محدداً في التنسيق أو توجيه الدعوات، إلى غير ذلك من أمور جوهرية تتصل بالأشخاص أو الإجراءات.

صحيح أن المسؤولية مسؤوليتنا أساساً، ولكن مكاتبنا الإعلامية لا تغطي الآن إلا عدداً محدوداً من العواصم والمدن الكبرى، ومن ثم فإن اعتمادنا كبير على السفارات بحكم هذا، وبحكم التكامل الذي نوهنا عنه.

ثالثاً: وتأسيساً على ما قلناه عن أن كل صاحب فكرة إنما هو رجل إعلام، فإن المشرفين على الإعلام الخارجي يحرصون على الاستفادة من هذه الحقيقة، من خلال:

١ - الوافدين إلى بلادنا للعمل أو بالدعوة أو للتجارة أو للزيارة أو للحج. فنحن نحرص على إطلاع هؤلاء على مظاهر النهضة، وخططها، وعلى إقناعهم بتوجيهاتنا الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وإذا ما أحسنّا إقامة الصلة مع هؤلاء ووصلنا إلى ضمائرهم بالشرح المبسط والمعاملة الطيبة والقدوة الحسنة، فإنا نأمل أن ينطقوا بلساننا وأن يتطوعوا لشرح ما فهموه عنا.

٢ - ويدخل ضمن هؤلاء المشاركون في المؤتمرات سواء ما يعقد منها في الداخل أو الخارج. وهؤلاء، إما أن يكونوا رجالاً لنا ذهبوا إلى الخارج ليشرحوا مواقفنا ويعرضوا مناهجنا وسياساتنا وصورتنا، فلهم من غير شك تأثيرهم على الجمهور الذي يستهدونه، قلّ هذا التأثير أم كثر، وإما أن يكونوا أجانب جاءوا للمشاركة في مؤتمرات داخلية وأدرنا معهم الحوار ووصلنا معهم إلى قناعة كلية أو جزئية. وهؤلاء، كما نأمل، يذهبون عنا وقد حملوا منا شيئاً في ضمائرهم سوف يكون له تأثيره في أدوارهم في بلادهم حتى ولو كانت هذه مقصورة على الاتصال الشخصي بمحيطهم المباشر.

٣ - ويبرز في هذا الصدد دور المبتعثين إلى الخارج. ونحن نحرص على إقامة جسور معهم لها صفة الدوام فنزودهم بالصحف والمجلات والمطبوعات والشرائح والصور وغير ذلك، ونبقيهم على اتصال مستمر بقضايا وطنهم وأمتهم حتى يكونوا رسلاً لنا في الخارج يحاورون ويناقشون في أوساطهم بعمق وفهم وقدرة موضوعية على الإقناع ودحض الدعايات المعادية. فالذي لا يعرف لا قدرة له على تعريف الغير، وفاقد الشيء لا يعطيه.

٤ - على أن هذا كله لا يجعلنا نغفل عن أن أفضل الإعلام ما قام على الحرفية، أي القدرة على اتباع أساليب الحوار والإقناع من خلال أجهزة متخصصة. إن رجل الإعلام المحترم يمتاز جهده بأنه جهد الخبير القدير المتمرّس، وبأنه جهد يجد قنوات فعالة للتوصيل، ولهذا نحرص على تحقيق صلات عمل ودية مع الصحفيين الأجانب ورجال الإعلام البارزين في المجتمعات الأخرى.

إننا حين نستطيع أن نكسب إلى جانب قضايانا واحداً من هؤلاء، فإنه قادر على تحريك تيار بكامله لو أتيح له الدعم المناسب. ولهذا، فإن أهم ما نحرص عليه أن تكون حركتنا بين هؤلاء واسعة، وواعية، وحذرة في الوقت نفسه.

وتبقى لنا بعد ذلك، كلمة عن **أسس إعلامنا الخارجي** وأهدافه، بصرف النظر عن وسائله ودوائره.

ذلك بأننا نرتكز في التحرك الإعلامي الخارجي على الأسس التالية:

أولاً: نحن نحرص، وننصح رجالنا بأن يكون عمادهم الحجة والمنطق والموضوعية دون انفعال يضيف إلى الأعداء، وينفر الأصدقاء، وبالتالي فإننا نحرص على أن يكون رجالنا ممن يوثق بعلمهم وخلقهم ورحابة صدورهم وآفاقهم.

ثانياً: ونزوّد هؤلاء بأفلام إعلامية وكتيّبات صغيرة مصورة وشرائح، وما إلى ذلك لمساعدتهم على الشرح، وإلقاء الضوء، والإقناع. ونحن نزوّد أيضاً بهذه المواد الإعلامية السفارات الأجنبية هنا (عندنا)، والجامعات والمكتبات والنوادي والمراكز العلمية في الخارج. وتعتبر هذه العملية ذات تأثير مباشر على فئة هامة مؤثرة لأنها فئة الساعين إلى تحصيل الثقافة من مظانّها ومصادرها، وهي إذا اقتنعت، ووصلنا إليها بجهدنا تكون ذات نفع عظيم لنا.

ثالثاً: على أن هناك نقطة هامة نحرص عليها في عمليتنا الإعلامية، وهي أننا نحاول إبراز دورنا الحضاري وأسسه الدائمة التليدة الراسخة دون تركيز على دور النفط، إلا حين يكون ذلك دفاعاً عن اتهام موجّه أو إعلاناً عن موقف نفطي نافع للإنسانية، ولرفاهية الإنسان حيثما كان. إن أعداءنا يركّزون على أننا دولة نفطية ليس لديها للحياة المعاصرة سوى النفط، وعليها أن تعطيه لها ثم تتركها بعد ذلك لحال سبيلها. بينما إعلامنا يحرص، ويجب أن يتصاعد حرصه هذا دائماً أبداً، على إبراز أن لدينا من القيم والمبادىء ومناهج الحياة وأسسها ما يصلح لتقدّم البشرية، واستواء حال الإنسان واستقامته وحسن تعامله مع غيره. هم

يركزون على المادة، ونحن لا نغفلها ولكننا نضيف إلى هذا الجانب المادي قيمة روحية كنا رواداً فيها، ولا نزال، لأنه لا صلاح للإنسان، بل لا قيمة له ولا وجود إلا إذا استمسك بما يميزه عن الحيوان وهو الروح وما ينبثق عنه من تواد وتكافل والتزام للخير والقيم.

رابعاً: ومن أسس إعلامنا أنه يحفل بالعالم الذي ننتمي إليه، وهو ما يسمى بالعالم النامي، والذي نستمد قوتنا من وضعنا في داخله، وبقدر ما يتحقق لنا فيه من قيادة وتأثير بقدر ما يكون تأثيرنا في العالم الآخر أي العالم الصناعي المتقدم. ولهذا، فإن التحرك الإعلامي في هذا العالم يأخذ حيزاً كبيراً من اهتماماتنا، ونحن نبرز دورنا التحضيري فيه من خلال ما نقدمه من مساعدات مالية ومشورة وقدوة وقيم في التعامل والأخلاق.

هذه عجالة من إعلامنا الخارجي لم نرد بها الشمول، وإنما مجرد التعريف والإشارة إلى العلامات البارزة على طريقه...

وأكاد أقول في النهاية، إن الإعلام: قضية ورجل. فحين تكون القضية عادلة، ويكون الرجل مؤهلاً للدفاع عنها بمهارة الخبير العارف، وعبر قنوات متطورة، فإن النجاح في المهمة الإعلامية يكون مضموناً ومكفولاً مهما برزت على الطريق من عقبات وصعاب.

النظام الإعلامي الجديد والخلل في تدفق المعلومات

إننا نواجه في المرحلة القادمة دون شك متغيرات خطيرة وكبيرة في ظل النظام العالمي الدولي الجديد، ولا بد أن نكون في مستوى يمكّننا من أن نكون قدرة فاعلة، وبالتالي يكون رجل الإعلام هو حجر الزاوية في مدى قدرتنا في التعامل والتنافس في ظل سياسة الوفاق الدولي والتبادل الثقافي، وإلاّ سنصبح دولاً متلقية مستقبلة غير مؤثرة، ويقتصر دورنا بالتالي على عمليه الاستقبال فقط، ومن هنا تأتي عملية التأثير والإعداد والتنبيه للمخاطر والقدرة على التفاعل والتأثير.

ولقد أصبح الاتجاه إلى العالمية سمة من أبرز سمات هذا العصر والذي يطلق عليه عصر المعلومات وثورة الاتصال، حيث يتميّز بعالمية معظم أنشطته في مختلف المجالات الاقتصادية والتجارية وحتى السياسية، وحقوق الإنسان أصبحت كلها قضايا ذات طابع عالمي، ولم تعد مقصورة على قطر معين أو إقليم معين.

بل ظهر ما أصبح يسمى «بالنظام العالمي الجديد»، وكما حدث ذلك على المستوى السياسي والاقتصادي، فقد انعكس كذلك على المستوى الإعلامي حيث أحدثت الثورة المعاصرة في تقنية الاتصال طفرة هائلة في ظاهرة الإعلام الدولي أو عالمية الاتصال، وأصبح التعرض لوسائل الاتصال الدولية (أو غير

الوطنية) جزءاً من نسيج الحياة اليومية للمواطن بما يمكن أن يحدثه هذا من آثار تتصل بإدراكه واتجاهاته وقيمه[1].

ويكفي أن نعلم أن حوالى ٨٠٪ من الأخبار والمعلومات تصدر عن وكالات أخبار في الدول المتقدمة.. وحتى الموجات الإذاعية وقنوات الأقمار الصناعية تملك الدول المتقدمة غالبيتها العظمى.

وقد أدى ذلك إلى جعل الدول النامية مجرد مستهلك للإعلام الذي تقدمه الدول المتقدمة، وليس شريكاً في عملية تبادل المعلومات.

والنظام الإعلامي الجديد، وإن كان ليس شراً كله، إلاّ أنه لا يصلح أن نتعامل معه بصورة سلبية، وأن نعرض أجيالنا للتيار الإعلامي المباشر دون أن تكون لنا القدرة على إعانتهم وتنمية قدراتهم لاستيعاب هذا المد الإعلامي الخطير، ثم تنمية قدراتنا من الناحية الأخرى لنكون مؤثرين ولو تدريجياً، وأن نعطي له كما نأخذ، وإلاّ فإن الخطر عظيم على عقائدنا وثقافتنا وحضارتنا إذا استمر الوضع على نحو نمارس فيه دور المستضعفين في الأرض إعلامياً.

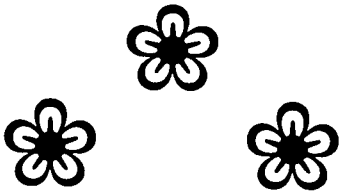

(١) سعد لبيب، الإعلام العربي في عصر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات. مجلة تليفزيون الخليج، المجلد العاشر، العدد الثاني، ٣ ربيع الأول ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م. ص: ١٨.

الحرية والاحترام
من أهم ركائز الإعلام

تمثل الحرية والاحترام ركيزتين أساسيتين في كافة مراحل العمل الإعلامي وعلى اختلاف صوره.. ولا يتصور أن يحرز هذا الميدان تقدّماً وانطلاقاً بدون توافر مقدمات الحرية بمفهومها الصحيح. إلى جانب الاحترام المشترك والمتبادل بين كافة الأطراف المرتبطة بعمليات الاتصال والإعلام من واضعي السياسات والمسؤولين والمفكرين والمنتجين والمرسلين والمستقبلين.. فضلاً عن احترام الرسالة الموجّهة، واحترام رجل الإعلام لعمله، واحترام عقلية المتلقي ومشاعره.

الحرية:

فالحرية في العمل الإعلامي مطلب هام.. حيث يجب أن يتعلّم رجل الإعلام لدينا مفهوم الحرية وأبعادها ومستوياتها باعتبارها أصالة، وليست مجرد شعارات أو مجرد انطلاق من القيود بدون ضوابط أو روابط. والحرية تبدأ بالسيادة على النفس، وإطلاق إرادة الإنسان وعقله وعواطفه من قيود الشهوة.. والشخص الحر هو الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية السامية فيضبط نفسه ويمنعها من الهبوط إلى سواقط الأمور فلا يكون عبداً لنفسه الأمّارة بالسوء.. والإنسان الحر إنسان مسؤول ـ لأنها كما ذكرت مسؤولية ـ والحرية والمسؤولية ترتبطان برباط.

احترام الإعلام:

إن احترام العمل الإعلامي عملية مشتركة تتطلب تعاون عدة مصادر، أبرزها ما يلي:

١ ـ الحكومات ودورها في إزالة جميع العقبات التي تعترض العمل الإعلامي وتوفير مزيد من الحرية له.

٢ ـ الجهات الإعلامية ودورها في احترام الإعلام من خلال احترامها للمتلقي وما تقدمه من موضوعات.

٣ ـ أهل القلم والفكر ودورهم في الإسهام في احترام أهمية العمل الإعلامي من خلال المشاركة الفعالة.

٤ ـ من المهم جداً احترام رجل الإعلام أيضاً لعمله، وأن يحبّه وأن يأمن على نفسه أثناء أداء عمله، وأن يتحمل المسؤولية كاملة تجاه الله ثم الوطن والمكان الذي يمارس فيه هذا العمل الإعلامي.

ومن ناحية أخرى، فإن اكتساب احترام الأمة وثقتها يعدّان نقطة جوهرية في العمل الإعلامي، خصوصاً في الوقت الذي أصبح فيه الإعلام يشكل عنصراً هاماً في الحياة اليومية، ومصدراً لا غنى عنه في اكتساب المعرفة والعلوم الثقافية والتربوية.

لذلك، فمن المهم الحرص على عملية التوازن بحيث لا تهيمن على الإعلام التوجهات السياسية أو عمليات التوجيه المباشر أو الدعاية الحكومية.. خصوصاً إذا كان كل ذلك على حساب العملية الإعلامية وما يجب أن تكون عليه من توازن.. ثم من الواجب أن لا ننسى الدور الترفيهي في العملية الإعلامية ونحرص على ربط المشاهد أو المتلقي بنا، حتى تأتي عمليات التوجيه والتوعية بصورة غير مباشرة وغير ممجوجة أو مرفوضة، لأننا إذا أغرقنا في ذلك سوف تفقد البرامج الإعلامية أهميتها لدى المشاهد، وقد تؤدي إلى مقاطعة الشعوب لأجهزتها الإعلامية وانصرافها للبحث عن مصادر أخرى.

ومن الخطورة قوقعة الإعلام وانحصاره في القضايا العملية أو الدعاية السياسية الضيقة أو تحولها إلى منبر خطب ومواعظ، وتوجيه مباشر أو دعاية رسمية تنفر الناس منها، وهذه الأمور تجعل الإعلام يفقد أهميته ورونقه، وكذلك قد تؤدّي هي الأخرى إلى تحوّل المشاهد والمستمع إلى قنوات ومصادر أخرى.

دور الإعلام العربي
في ضوء المتغيرات العالمية

ويبدو الآن أنه لا بد، ونحن نخطّط لبناء الإعلام العربي، أن ننطلق من منطلقات صحيحة، وهي أننا جزء من هذا العالم، وإذا أردنا أن يحترمنا الآخرون لا بد أن نبدأ باحترام أنفسنا، ونؤكد على قدرتنا على استيعاب الأحداث ومعالجتها بموضوعية وبطرق علمية نكسب بها احترام الآخرين، وأن نبتعد عن التعامل العاطفي البحت والانفعال السلبي الذي يؤثّر على علاقاتنا الدولية.

وحتى عندما نتحدث عن بعض الأخطار والتحرشات والتشويهات الخارجية أو الهجمات الشرسة، فلا بد أن نؤهل رجل الإعلام عندنا حتى يستطيع التعامل مع مثل هذه الأمور بالصورة السليمة وبالطرق الحكيمة.

وينبغي أن تكرّس وسائل الإعلام العربية جهودها لتغيير الصورة (المنطبعة) أو النمطية أو ما يعرف في المصطلح الإعلامي بـ (Stereotype)، أي الصورة النمطية الثابتة والمتكررة والتي تكونت بشكل مشوّه لدى الغرب عن العرب والإسلام والمسلمين عبر السنين دون سند واقعي أو علمي.

ويأتي دور الإعلام العربي هنا للعمل على صياغة صورة مشرقة عن الحضارة العربية والإسلامية في ماضيها وحاضرها وإبراز الصفات المجيدة للتاريخ العربي والإسلامي، وذلك بتوفير متنوعات إعلامية عربية قوية تيسر للأجانب الحصول

على ما يريدونه من معلومات وآراء حول القضايا المتعلقة بشؤون الإعلام العربي والإسلامي. وتنشيط دور السفارات والجاليات العربية والإسلامية المقيمة في الغرب ووسائل الإعلام، من أجل تنفيذ ما تقدمه من معلومات خاطئة عن الإسلام والعرب.

والعمل على إنتاج مواد إعلامية على مستوى رفيع لتقديم الصورة الحقيقية للإسلام والعرب إلى الغربيين، ومنح الإعلاميين عندنا المزيد من الحرية والمرونة في استقاء الأخبار والتعليقات والآراء من المسؤولين في العالم العربي والإسلامي وتنظيم برامج لزيارات الإعلاميين إلى البلاد العربية والإسلامية مع ضرورة متابعتهم واستمرار الاتصال بهم لتزويدهم بالمعلومات والتقارير.

ولا بد في النهاية أن ندرك المتغيّرات الكبيرة في النظام العالمي من حولنا والتي تستوجب أن نكون في مستوى المسؤولية وأن نكون قدرة فاعلة، وأن لا نكتفي بدور المتلقي، ومن المهم أن يكون لنا تأثير إيجابي وهذا لن يأتي إلاّ إذا أخذنا في الاعتبار القضايا الأساسية التي ناقشناها في بحثنا هذا حتى نكسب ثقة الأمة في إعلامها، ونحقق عمليات التوازن المطلوبة، ونبتعد عن القوقعة الإعلامية وأن لا يكون إعلامنا دعاية سياسية ضيقة أو ينحصر في الموضوعات المحلية، أو يتحول إلى خطب ومواعظ.

كما أنه من المهم أن ندرك أننا جزء من العالم من حولنا، فنأخذ ذلك في الاعتبار ونحن نتناول الأحداث، وأن تكون منطلقاتنا صحيحة حتى نكسب احترام الناس في الداخل والخارج.

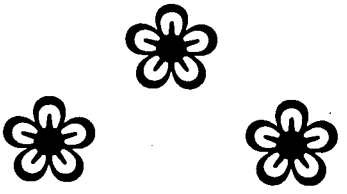

الفصل الثالث

الإعلام والتقنية

- **التحدي التقني ومواجهة الإعلام الوافد**
  - صراع الأفكار يتحول إلى صراع بين التقنيات
- **أقمار الفضاء غزو جديد**
- **تكنولوجيا الفضاء والغزو الإعلامي**
- **المعادلة الإعلامية في العالم**
  - المواصلات السلكية واللاسلكية
  - التوابع الصناعية
  - توزيع الترددات الإذاعية
  - أخطار التحكم التكنولوجي
  - السيطرة على المدارات الفضائية
  - الربط بين تكنولوجيا الفضاء وتكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية
  - تلوث الفضاء
- **كيف يتصدى العالم العربي الإسلامي للغزو التكنولوجي**
  - خطورة التبعية والاعتماد
  - التقنية لا تشترى ولكنها تصنع
  - دور الشبكة الفضائية العربية (عرب سات)
  - التأهيل للتعامل مع تقنية الاتصال الحديثة وتطوير الإنتاج.

التحدي التقني
ومواجهة الإعلام الوافد

صراع الأفكار يتحول إلى صراع بين التقنيات:

لا شك أن شعوبنا العربية تواجه تحديات حضارية كبرى في مجال تقنية الاتصال، إذا لم تتمكن من الاستفادة من ثمار التطورات المتلاحقة في هذا المجال في تطوير أنشطتها الإعلامية والثقافية والعلمية، من أجل مستقبل أفضل يؤكد الحضارة العربية والإسلامية وقدرتها الدائمة على التقدم ومواكبة متطلبات العصر.

وقد رأينا كيف لعبت تقنية الاتصال المتقدمة دوراً حيوياً في حرب الخليج على مختلف الأصعدة، وإذا كان الإعلام الآن خاضعاً للتقدم التقني الهائل ومستفيداً منه، فإن ما يمكن قوله هو أن صراع الأفكار قد تحول إلى صراع بين التقنيات بدلاً من أن يكون ـ كما كان العهد به ـ صراعاً بين الأيديولوجيات، فالذي يملك التقنية المتقدمة لنقل أفكاره وآرائه ومبادئه هو الذي تكون له في النهاية الغلبة في الميدان الأيديولوجي ذاته، حيث تسود مبادؤه وقيمه مهما يكن الرأي فيها ومهما يكن جوهرها.

أقمار الفضاء.. غزو جديد

يعتبر موضوع الأقمار الصناعية من الموضوعات التي تشغل اهتمام الرأي العام العالمي وتؤرقه باعتبارها أنجح الوسائل التكنولوجية وأسهلها لتحقيق الاتصال والبث الإذاعي والمرئي، وبما تنطوي عليه من أخطار مدمرة على الجنس البشري.

فمنذ أن أطلق الاتحاد السوفيتي (سابقاً) أول قمر صناعي عام ١٩٥٧، وتلاه الأمريكيون فأطلقوا أول قمر لهم عام ١٩٥٨، والفضاء الخارجي يشهد عمليات إطلاق متتابعة للأقمار الصناعية وتسابقاً محموماً يتصاعد من حيث التقنية والدقة ويتطور من حيث الكفاءة في تأدية المهام المنوطة به.

ففي عام ١٩٦١، صعد الروسي جاجارين إلى الفضاء بمركبة فضائية، وفي العام التالي صعد الأمريكي (جون جلين) في رحلة بين الكواكب السيارة.

وفي عام ١٩٦٢، تم إطلاق أول قمر صناعي (تلستار) الذي استخدم لأول مرة في نقل الاتصالات اللاسلكية بين الدول، وتتالت التطورات واحتدم الصراع وتسابق الروس والأمريكان للوصول إلى القمر، حيث هبط الأمريكي (نيل أرمسترونج) على سطح القمر لأول مرة في التاريخ عام ١٩٦٩، وتابعهم الروس في هذا المضمار، حيث هبطت ساليوت (١) على سطح المريخ عام ١٩٧١.

ثم تتابع إطلاق الأقمار وسفن الفضاء بروّاد وبدون روّاد لتحقيق الأغراض التالية:

١ ـ استكشاف الفضاء والسيطرة عليه من قبل الدول الكبرى.

٢ ـ للتجسس ومراقبة التحركات العسكرية لأي مكان في العالم، ونقل الصراع العسكري من الأرض إلى الفضاء بما يطلق عليه حرب الكواكب، ولقد قلّت حدة هذا الصراع مؤقتاً بانهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، وتفكك ترسانته النووية، وهناك تقرير للأمم المتحدة صدر عام ١٩٨٠ يقول:

(إن ثلثي شبكات الأقمار الصناعية في العالم تستخدم لأغراض عسكرية).

٣ ـ نقل وبث البرامج التلفزيونية: فلقد أطلق الأمريكيون عام ١٩٦٥ القمر الصناعي (ايرلي بيرد) أي الطائر المبكر، وكانت طاقته ٢٤٠ دائرة تلفزيونية وقناة تلفزيونية واحدة. وقد أطلق في مدار على ارتفاع ٢٢٣٠٠ ميل عند خط الاستواء، وقد استخدم في نقل البرامج التلفزيونية بين أوروبا وأمريكا.

ولم يمض سبعة عشر يوماً على إطلاق القمر الأميركي حتى أطلق الروس قمر (مولينا ـ ١) لنقل البرامج التلفزيونية والاتصالات اللاسلكية ويمكن من خلاله نقل برامج التلفاز والمكالمات الهاتفية بلا انقطاع بين المحطات الأرضية في أرجاء الاتحاد السوفيتي (سابقاً) والتي تبلغ عددها ٢٤ محطة. وفي عام ١٩٦٨، أطلقت الولايات المتحدة جيل أقمار انتلسات الثالث ووضعت أقماره فوق المحيطات الثلاثة، وبذلك أمكن نقل البرامج التلفزيونية من أي بقعة في العالم توجد بها محطة أرضية إلى أية بقعة أخرى.

٤ ـ رصد وكشف ما على وجه الأرض وما في جوفها من معادن وثروات، فخلال العقدين الماضيين تم إطلاق ٣٠ قمراً صناعياً لرصد الأرض وهي تجمع معلومات لا حدّ لها عن ثروات الدول النامية، وهذه المعلومات لا تتاح للدول صاحبة الشأن نفسها ولكنها تتاح للشركات الأميركية الكبرى، وهذه الشركات تحصل على المعلومات من وكالة الفضاء الأميركية NASA مجاناً طبقاً لقانون

حرية المعلومات في الولايات المتحدة وتستغلها بما يحقق فائدتها، وهكذا تزداد الدول الكبرى سلطاناً وهيمنة بالمعلومات التي تملكها وتضارب بهذه المعلومات وتؤثر على الأسواق العالمية وعلى الثروات الوطنية وتسلب الحق المتعارف عليه دولياً والمنصوص عليه في قرارات الأمم المتحدة «حق الدول في ممارسة سيادتها على مواردها الطبيعية».

٥ ـ الإرصاد الجوي والتنبؤ بتقلباته وتوجيه الملاحة الجوية والبحرية، وهذه، وإن كانت تحمل بين ثناياها الخير للإنسانية لتجنب الكوارث المقدّرة بقضاء الله قدر الإمكان. وتعمل على تنوع الحاصلات الزراعية وحمايتها والوقاية من تلوث البيئة ومخاطره. غير أن هذه المنافع تستغل لصالح الدول الكبرى، فهي التي تملك تلك المعلومات ثم تحميها ولا تسمح بتداولها إلا بما يحقق مصالحها.

ولا نريد بهذه أن نقلّل من شأن الإنجازات العلمية الكبرى في مجال الأقمار الصناعية، ولا نرغب في تصويرها على أنها شر كلها ولا فائدة فيها لخير الإنسان على الأرض، على العكس من ذلك، فالإنسان يسعد بما تحقق من إنجازات كبرى قرّبت البعيد ومكّنت الإنسان من استخدام الكثير من إمكانات هذا التطور ووضعتها في خدمة البشرية جمعاء، وخصوصاً في مجال تطبيقاتها العملية ووضعها في متناول استعمالات العلماء لشتى الأغراض السلمية. غير أن هذه وهذا السباق على ما فيه من خير ظاهر فهو يحمل في باطنه الخراب والاستعمار.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

(١) سورة يوسف، الآية ٢١.

تكنولوجيا الفضاء والغزو الإعلامي

منذ ثلاثمائة عام كان الذين حكموا البحار هم الذين حكموا العالم لقرون عدة، أما اليوم فالذين يسيطرون على الفضاء هم يحكمون العالم والذين يتحكمون في التكنولوجيا هم الذين يتحكمون في العالم، والذين يُحكمون قبضتهم على المعلومات هم الذين يُحكمون قبضتهم على العالم.

والأمر نفسه بالنسبة لتكنولوجيا الفضاء في مجال الإعلام، فقد بلغت إحدى الذرى المذهلة في تطورها وأدائها وكفاءتها. إننا نرى ونحن جلوس في منازلنا أحداث العالم الهامة تعرض علينا لحظة وقوعها. لقد أصبح التلفاز أداة إعلامية كما هو الشأن في الإذاعة والصحافة والفيلم السينمائي.

وحتى الآن، ما زالت المشكلة محصورة ضمن نطاق معيّن ونعني بالمشكلة: تخطي الحدود العالمية في ثوانٍ لممارسة الغزو الفكري لأيّ مكان في العالم.

ونعني بالنطاق المعيّن، أنَّ الاتصالات الفضائية حتى الآن ما تزال محكومة باعتبارات هندسية ومالية وسياسية، بحيث تختار كل دولة المادة التي ترغب في بثها على مواطنيها، وتشتري حقوق البث وفق الاتفاقات المعقودة في هذا الشأن.

كذلك، فإن الدولة المجهّزة بالوسائل التكنولوجية وخاصة الأقمار الصناعية الأرضية تستطيع أن تبث ما تشاء بعد أن تدفع التعرفة اللازمة إلى المناطق التي

تشاؤها في أي مكان من العالم. لكن مع وجود هذه الضوابط، ما الذي حدث؟

لقد استخدمت تكنولوجيا الفضاء مرة أخرى لتعزيز هيمنة الكبار، فهناك الآن شبكتان عالميتان للأقمار الصناعية.. إحداهما هي «الانتلسات» والأخرى هي «الانترسبوتنيك».. ولكن في واقع الأمر أن الشبكة الأولى ـ بالرغم من أنها تابعة لمنظمة دولية ـ إلا أن أقمارها أميركية والصواريخ التي تطلق هذه الأقمار أميركية هي الأخرى.

والثانية ـ وهي الأخرى بالطبع تحت غطاء دولي مكوّن من الدول التي كانت تعتنق النظام الشيوعي وأصدقائها ـ أقمارها روسية والصواريخ التي تطلق الأقمار أيضاً روسية، ودول العالم الثالث كالمتفرج بين الشرق والغرب.

وأصبحت شعوب الدول النامية تعرف الآن سياسة الدول الكبرى وتعرف نجومها في السينما والفضاء، وتلم بمأكلهم ومشربهم وعاداتهم وتقاليدهم، وتعرف عن بلدانهم أكثر مما تعرف عن بلدانها.

أما هم، فما الذي يعرفونه عنا ومتى؟

يعرفون عنا إذا ما حلت بنا ـ والعياذ بالله ـ مصيبة أو إذا ألمّت بنا أزمة. عندئذٍ فقط يسنّون أقلامهم ويشرّعون في وجوهنا آلات تصويرهم، وفي غير ذلك لا نجد غير الصمت المطبق، فالأقمار في أيدي القوتين الكبريين وحدهما، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفكك جمهورياته انفردت الولايات المتحدة الاميركية في هذا المضمار، ولا سيما بعد أحداث الخليج، حيث أصبح الصوت الأميركي لا يعلوه صوت.

وأكبر ثلاث وكالات للأخبار المصورة توجد في أميركا وبريطانيا، وأكبر خمس وكالات أنباء في العالم توجد في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي (سابقاً).

هي حرب إعلامية إذن، وليست عسكرية فقط، التي تجري في الفضاء،

ساخنة كانت أو باردة، فهي الحرب التي لا مناص منها ولا بد، ولكنها الآن تزداد حدة مع التطور المتوقع في محاولات وطرق استخدام الأقمار الصناعية، حيث سيتطور هذا الأسلوب إلى ما أبعد وأخطر بكثير.

والتطور المتوقع خلال عقدين أو أقل من الزمن يهدف إلى فتح الفضاء أمام التكنولوجيا المتقدمة لكي تبث موادها تلفزيونياً، وإذاعياً بحيث تصل إلى أي مكان من العالم دونما حاجة لوساطة المحطات الأرضية، فيصبح بوسع المشاهد في بلد ما أن يفتح جهاز التلفزيون على أية قناة يشاء ليلتقط برامج بلد يبعد عنه آلافاً من الأميال وكأنه جالس في البلد نفسه يشارك مواطنيه في ما يشاهدونه.

فوسائل الغزو الجديد ـ كتابة أو إذاعة أو فيلماً أو مسرحية أو برنامجاً تلفزيونياً ـ هي إذن الجيوش العصرية التي تشكل طليعة قوات المستعمرين، فهم يدفعونها منشورة في أية صيغة أدبية فنية لتحدث تأثير الفتاكة ببطء، ولكن بفعالية، والمستعمرون ينتظرون سقوط الثمرة بين أيديهم بعد أن نضجت على نار خططهم الشريرة.

إن الوثبة التكنولوجية المتوقعة، حيث تستباح مجالات الفضاء بصورة نهائية ويسيطر الغزاة على فكر العالم وعقله، وذلك بإطلاق الدول الكبرى أقماراً تبث في بيوتنا مباشرة دون أن نملك أمامها شيئاً.

وحينذاك يصبح العالم الثالث عديم الحيلة أمام تلك القوى التي تملك المعدات والشبكات وأساليب الدعاية العديدة.

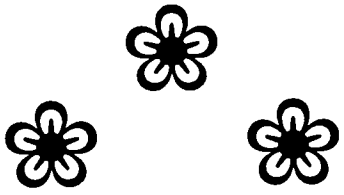

المعادلة الإعلامية في العالم

من المؤسف حقاً أن نظام الإعلام العالمي الحالي بل وحتى المستقبلي القريب يتّسم باختلال أساسي بسبب عدم التوازن الذي فرضته الدول الكبرى على عملية تبادل المعلومات.. حتى أصبحت معظم البلاد النامية.. وبصورة خاصة في عالمنا الإسلامي مجرد بلاد مستهلكة للمعلومات التي تصدر إليها. ولعل الصورة تكون أشد خطورة.. والهوة أكثر اتساعاً إذا أخذنا في الاعتبار عصر الفضاء واستخدام الأقمار الصناعية.. وقد جاء هذا الاختلال وعدم التوازن بسبب الهيمنة التي تفرضها الدول المتقدمة من خلال السيطرة التي تملكها، وخصوصاً عن طريق تملكّها للتكنولوجيا الفنية العالمية.. وسبقها في هذه المجالات. وبسبب تملّك الدول المتقدمة وسيطرتها على هذه الأجهزة عن طريق الاستثمار المباشر فيها وعن طريق احتكار الإعلان بطريقة أو أخرى في أنحاء متفرقة من العالم.. وعن طريق سيطرتها على وكالات الأنباء والإعلان.. حتى أصبحت عمليه التمويل للأجهزة الفنية أدوات للسيطرة الثقافية، بل وقد تسيء في بعض الأحيان إلى ثقافة البلد المستقبل وتشوّه تاريخه.. وحضارته، ومع ذلك فهو يستقبل برامجها ويبثها دون حول ولا قوة وحتى في الحالات التي تتعارض مع قيمه.. وقد تضر بجهود البلاد النامية ومخططاتها الاقتصادية.

ولعله من الواجب الاشارة إلى أن الدول المتقدمة تفرض عبر قنواتها الخاصة رؤية محددة على الدول النامية، وذلك بأن ترسل إليها عبر القنوات المحتكرة

للاتصال أنباء معينة تكون قد عولجت بطرق تناسب أفكار الدول المرسلة، وقد تشوه صور الدول النامية وتكون مشوهة أو مبتورة.. وقد تصور هذه الدول بصورة مجحفة.. وتركز على المشاكل والأزمات والاضطرابات.. والمظاهرات.. وقد تعرضها بصورة تدعو للسخرية أحياناً.. وحتى في الوقت الذي تسعى فيه دول العالم الثالث إلى إظهار جهودها، فلا يكون ذلك إلا عن طريق ملاحق صحفية مدفوعة الثمن..

وهكذا يرسخ الوضع العالمي والنظام الإعلامي الحالي بقاء نوع رديء من الاستعمار السياسي والثقافي والاقتصادي عن طريق قنوات الاتصال والإعلام، ونراه يركز على أحداث تافهة أو بسيطة في الدول النامية ويضخمها ويكبرها ويهولها.. ويصوغها بطرق تخدم الصورة التي يريد تقديمها عن هذه الدول النامية..

وفي بعض الأحيان، يلزمون الصمت عن أحداث معينة.. لأنها لا تخدم مصالحهم.. وهكذا لا تغطي أخبار الدول بالقدر الذي يخدم مصالح هذه الدول الكبرى.. ومجتمعاتها.. ثم يأتي موضوع توزيع مصدر الطيف.. وهنا تبدو مشكلة حقيقية لأن الدول المتقدمة حصلت على نصيب الأسد في مجال توزيع الذبذبات.. وعمدت إلى ترسيخ هذا الحق.. أو الباطل الذي سُمِّي حقاً وذلك عن طريق مادة في نظام الإذاعات تنص على بقاء المصالح المكتسبة فيما يتعلق بتوزيع الطبق. ولهذا، فإن الدول النامية أصبحت في ورطة وأخذت تعاني من معضلات حقيقية وهي تبني محطاتها الإذاعية الجديدة.. لأن جميع الذبذبات محتكرة.. ولن تحصل هذه الدول الضعيفة إلا على ذبذبات رديئة.. لا تفي ولا حتى بالحد الأدنى اللازم لبث إذاعي جيد.. وكأن هذه الدول الكبرى تسيطر على التراب الوطني لهذه البلاد النامية إذاعياً وتحرمها من حقها في الانتشار داخل مجموعاتها القومية.. أو السياسية، فضلاً عن الانتشار في العالم.

وكما يقول الأستاذ مصطفى المصمودي كاتب الدولة للإعلام التونسي (سابقاً): «ينتظر بسبب عدم وجود تنظيم فعال أن تزداد أوجه عدم المساواة

الراهنة في هذا المجال، مع تدعيم حقوق الأقوياء بصورة يستحيل علاجها. وغني عن البيان أن تقدماً كبيراً جرى في هذا الميدان، بحيث أنه في غياب التنظيم الكافي يتوقع حدوث غزو حقيقي من الإذاعات والبرامج التلفيزيونية يبلغ درجة انتهاك الأراضي الوطنية والمساكن الخاصة، ويمثل في الحقيقة شكلاً من أشكال انتهاك العقول. ويتعين شجب هذا الخطر بكل الوسائل الممكنة»[1].

وهناك مشكلة الجوانب الفنية التي تضيف أعباء وعوائق كبيرة على عاتق الدول النامية، لأن طريقة الاستفادة من هذه القنوات في الماضي وما صاحب ذلك من هياكل ونظم موروثة، تجعل من الصعب على الدول النامية الاستفادة الصحيحة من هذه الإمكانات.. وتؤدي إلى حرمانها من استخدام أمثل لقنوات الاتصال. ويبدو الظلم والإجحاف واضحين عندما نلاحظ أن الدول المتقدمة تستفيد من أفضل قنوات الاتصال بتكاليف زهيدة.. لمجرد أنها سبقت تكنولوجيّاً دون أن تأخذ في الاعتبار حاجة هذه الدول النامية إلى الاستفادة نفسها وعجزها عن دفع تكاليف مرتفعة.. فالدول المتقدمة تستفيد بكمية أكبر وقنوات اتصال أوسع وبتكاليف زهيدة.. وقد تمكنت الدول المتقدمة بفضل سبقها التكنولوجي ونظام رسوم المواصلات الدولية الذي أرسته، من أن تستفيد من أوضاع وامتيازات احتكارية، سواء عند تحديد فئات نقل المطبوعات والمواصلات السلكية واللاسلكية، أو في استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وقد أخفقت آخر محاولات لمعالجة هذا الوضع مثل محاولات المؤتمر الاقليمي الإداري للإذاعة بالترددات المنخفضة / الترددات المتوسطة ـ ولا سيما في المنطقتين الأولى والثانية ـ ولقد انحصر نتاج هذا المؤتمر في التصديق روتينياً على وضع واقعي ضار بمصالح البلاد الصغيرة.

ويرجّح أن يعمّق البدء في استخدام التوابع الصناعية من عدم التوازن هذا إذا

---

(١) النظام العالمي الجديد للإعلام ـ وثيقة مقدمة من الأستاذ / مصطفى المصمودي كاتب الدولة للإعلام بتونس ـ اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام.

لم يتخذ قرار دولي حاسم، وإذا لم تقدم المساعدات التكنولوجية إلى البلاد النامية. ويتبدى عدم التوازن هذا بصورة خاصة في المجالات التالية:

المواصلات السلكية واللاسلكية:

إن البنى والأنماط الراهنة لشبكات المواصلات السلكية واللاسلكية القائمة بين البلاد النامية تقوم فقط على معايير الربحية وحجم الحركة، ولذلك تشكل عائقاً خطيراً في سبيل تنمية الإعلام والاتصال. وهذا العائق يؤثر في كل البنى الأساسية ونظام الرسوم.

وفيما يتعلق بالبنى الأساسية يلاحظ، فضلاً عن عدم وجود اتصالات مباشرة بين البلاد النامية، أن شبكات الاتصال مركّزة في البلاد المتقدمة ـ ويمنع تخطيط البنى الأساسية الذي وضعته القوى الاستعمارية السابقة فيما يتعلق ببعض البلاد النامية، أي إمكانية لإرسال المعلومات إلى ما وراء حدودها «المحطات الأرضية تسمح فقط باستقبال برامج التلفزيون المنتجة في البلاد الصناعية دون إمكانية للإرسال نحو تلك البلدان»[1].

ويحلّل الأستاذ المصمودي ظاهرة الرسوم، كيف أنها قد صمّمت لغير مصلحة الدول النامية ويقول إنه: «فيما يتعلق بالرسوم فالوضع أكثر مدعاة للدهشة بل وغير منطقي البتة في بعض جوانبه، فنظام الرسوم الراهن المصمم لغير صالح الإرسالات يشجع استمرار قبضة البلدان الغنية على خناق تدفق المعلومات. وأقل ما يقال في هذا الشأن أن من الغريب أن تكلفة الإرسالات عبر مسافة ما بين نقطتين داخل البلاد النامية أكثر مما تكلفه بين نقطتين بينهما المسافة نفسها في البلاد المتقدمة، كذلك ليس هناك ما يبرر أن يتكلف نقل الرسالة نفسها من بلد متقدم إلى بلد نام أكثر مما لو نقلت في الاتجاه المضاد. وأن بقاء بعض الممارسات التي لا تتفق والعصر في حد ذاته لتفسير بعض

---

(١) النظام العالمي الجديد للإعلام ـ وثيقة مقدمة من الأستاذ / مصطفى المصمودي كاتب الدولة للإعلام بتونس ـ اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام.

المعايير السارية. فلماذا على سبيل المثال تتكلف دائرة صحفية تلغرافية أحياناً مثل دائرة تلفونية أو ربما أكثر منها. وكيف نقبل الميزة التي تتمتع بها وكالات الأنباء الكبرى التي تضمن ـ نظراً لكثافة حركة رسائلها ـ استخدام الدوائر كل الوقت بتكلفة لا تزيد في بعض الأحيان عن متوسط الاستخدام اليومي لمدة ساعة واحدة؟.. ويزداد الوضع سوءاً في بعض البلاد بسبب تأجير شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية لشركات أجنبية علة وجودها هي الاستغلال والربح وتوجيه حركة الرسائل الدولية إلى بلادها الأصلية.

التوابع الصناعية:

رغم أن مؤتمر جنيف لعام ١٩٧٧م حاول وضع المقومات الرئيسية لإجراء يهدف إلى منع الخروج عن الاستخدام الرشيد للتوابع الصناعية، فما زالت البلاد النامية مهددة بالاستخدام الفوضوي للفضاء الجوي الخارجي، مما قد يزيد اختلال التوازن الذي يؤثر على شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية حالياً.

توزيع الترددات الإذاعية:

تبرز اليوم بصورة ملحة مشكلة تخصيص طيف الترددات، وهو مورد طبيعي عالمي لكنه محدود. والواقع أن البلدان النامية أكثر تصميماً اليوم من أي وقت مضى على أن تتحدى بقوة الحقوق التي ادعتها لنفسها الدول المتقدمة في استخدامها لطيف الترددات، كما أنها عازمة أيضاً على الحصول على نصيب عادل من هذا الطيف. ومن المعروف عامة أن عدداً قليلاً من الدول المتقدمة تسيطر على حوالى ٩٠٪ من مصدر الطيف. وأن البلدان النامية، وإن كانت تغطي مساحة أوسع امتداداً، إلا أنها تملك قنوات أقل مما تملكه البلاد المتقدمة. أما كثافة الطاقة لكل كيلومتر مربع، فهي أقل بمقدار أربع مرات في البلاد النامية منها في البلاد المتقدمة»[1].

---

(١) النظام العالمي الجديد للإعلام ـ وثيقة مقدمة من الأستاذ / مصطفى المصمودي كاتب الدولة للإعلام بتونس ـ اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام.

فلا بد إذاً، والحالة هذه، أن يتم تغيّر جذري في النظام الحالي الذي يحكم العلاقات الإعلامية.. وعملية الاتصال بين الدول المتقدمة والدول النامية بحيث تكون علاقة محترمة.. وعادلة ولو إلى الحد الأدنى لاحترام حقوق الإنسان في العالم الثالث وحقه في الاتصال.. وفي الإعلام بنفسه بدلاً من هذه العلاقة القائمة والتي تجعل فئة مسيطرة وفئة خاضعة مغلوباً على أمرها.. لا شك أن مثل هذا النظام الجديد سيجد له في ميثاق الأمم المتحدة والأعراف الدولية المحترمة لحقوق الإنسان ما يدعمه ويبرره ويبرز منطقيته.. ولكن هذا النظام الجديد.. لن يكون من السهل الوصول إليه.. فدونه ما دونه من صعوبات وكما يقولون دونه قطع الرقاب.. أو خرق القتاد.

«إذا كان من الطبيعي في أيامنا أن نسعى إلى تحقيق نظام عالمي جديد تقوم على أساسه وبمقتضاه علاقات الدول في شتى المجالات، فقد بات من الطبيعي أن يحاذي هذا لتدعيمه وتثبيت أقدامه، نظام علمي جديد يتصل بالإعلام كفيل بالاستجابة لرغباتنا. إن هذه الفقرة المقتبسة تعبّر تماماً عن السؤال عما ينبغي أن ينطوي عليه هذا النظام العالمي الجديد للإعلام. فرغم أن الرأي العالمي يزداد تقبلاً لمبدئه، إلا أن مضمونه ما زال غير محدد.

وينبغي التأكيد على أن هذا النظام الجديد يتطلب إعادة تكيف كاملة، فهو ليس وصفة جاهزة قادرة على تحويل الوضع الجائر بين ليلة وضحاها إلى وضع أقلّ جوراً. فالوضع الراهن نتاج تاريخ طويل. ولذلك يمكن إصلاحه سريعاً. والأحرى أن يكون الهدف هو البدء في عمليه تجري في هذا الصدد على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، لأن الأمر يحتاج إلى تدابير محددة فعالة في مناقشات أكاديمية»[1].

ولعلّ من أهم الركائز لهذا النظام هو أن تسير الدول النامية بصورة جادة نحو

---

(١) النظام العالمي الجديد للإعلام ـ وثيقة مقدمة من الأستاذ / مصطفى المصمودي كاتب الدولة للإعلام بتونس ـ اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام.

الاستغلال الثقافي والإعلامي الأمثل.. حتى تصبح دولاً منتجة في هذه القطاعات وليست مجرد مستهلكة وعالة على الدول الكبرى.. ولا بد أن يسمع صوتها دولياً حتى تدخل هذه الحقيقة إلى عقل.. ووجدان الدول الكبرى.. لتقتنع بأن هذه الدولة مظلومة ومهدرة الحقوق.. وتساعدها بعد أن تساعد الدول النامية نفسها.. بالعلم.. وباستشعار المشكلة.. فما لم تشعر الدول بطبيعة هذه المشكلة.. فإن أحداً لن يتقدم لنجدتها. ولهذا، فلا بد أن ندرك جميعاً أبعاد وخطورة الوضع الراهن ثم نعمل كما ذكرت على إيضاح الأمر للرأي العام العالمي.. وإثارته واستنفار المؤسسات والهيئات الدولية حتى يدرك الجميع طبيعة وضعنا وحقيقة مشكلتنا..

ولا شك أن هناك أهمية كبرى تقع على عاتق القادة.. والمنظرين للأمة.. والمفكرين فيها لكي تتخذ الخطوات المناسبة في الطريق الصحيح... وأهمها أن يكون لدينا تعريف واضح.. وسياسة محددة.. تترجم هويتنا الثقافية.. ومعطياتنا الحضارية وتوجهاتنا التربوية.. على أسس واضحة من عقيدتنا.. وقيمنا.. ومقوماتنا، وأن نربط ذلك كله.. بالسياسة الإعلامية وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية.. لبلادنا جميعاً.. ثم نعرف موقفنا من هذا العالم الذي يؤثر فينا.. ومن المفروض أن نؤثر فيه. ولا شك أن عملية الترابط.. داخل التراب الوطني مهمة جداً.. ثم داخل مجموعاتنا السياسية والإقليمية.. وهكذا، وإلا فكيف نريد من العالم أن يفهمنا إذا لم يفهم بعضنا بعضاً.. وأن يقدرنا إذا لم يقدِّر بعضنا بعضاً؟

«أليس من المفارقة المحزنة أن لا نعرف معلومة أو خبر عن الأردن إلا عن طريق وكالة أنباء رويتر؟؟.. وأن لا نعرف عن بنجلاديش إلا أنها دولة تكثر فيها الاضطرابات والقلاقل والفيضانات والفقر، لأن وكالات الأنباء لا تنقل إلينا إلا هذه الصورة القاتمة السوداء عن هذا البلد المسلم الشقيق؟؟.. إن هذه المفارقات المحزنة ما هي إلا صورة من صور المعاناة التي نعيشها في عالمنا الإسلامي بسبب اعتماد وسائل الإعلام لدينا على وكالات الأنباء الأجنبية في

معرفة أخبار بعضنا بعضاً. بالإضافة إلى محدودية حجم هذه الأخبار، فإنها لا تمثل الواقع إذ لا تقدم منه إلا ما يتعلق بالكوارث والقلاقل والسلبيات، أما غير ذلك من الأخبار الإيجابية فهي لا تمثّل قيمة حقيقية لوكالات الأنباء الغربية، لأن مفهوم الخبر الغربي يقوم على الإثارة الصارخة جرياً على مبدأ (إذا عض كلب رجلاً) فهو ليس بخبر ولكن إذا عض رجل كلباً، فذلك هو الخبر. ولهذه المعاناة صورة أكثر إيلاماً وأبشع تأثيراً. فوكالات الأنباء الأجنبية هي التي تصنع الرأي العام العالمي وتشكل رؤيته عنا نحن العرب والمسلمين، ولا عجب أن ينظر العالم إلينا نظرة الازدراء لأننا «قوم همجيون قساة القلوب نعبد المال والجنس ونحتقر المرأة ونحب الحرب ونكره السلام». ولا عجب أن ينظر العالم إلى ديننا تلك النظرة وأن تتكوّن لديه هذه الصورة الذهنية عنا، لأن وكالات الأنباء ووسائل الإعلام الغربية الأخرى تمد تلك النظرة بأسباب البقاء والنماء، كما أنها تشحن أذهان الناس بكل ما يرسّخ معالم الصورة الذهنية البشعة عنا والتي تكوّنت لديهم عبر الأيام»[1].

وعلينا أن ندرك أهمية بناء الرجال الذين يقومون على تنفيذ هذه السياسة.. وحمل أعباء تسيير مثل هذه المشروعات التي تحتاج إلى همم.. وعمل.. وحزم.. وتتابع وجدية.. ورؤى واضحة..

ومن المهم أن تكون نظراتنا واقعية.. وتحركاتنا محسوبة بدقة.. وخططنا بعيدة عن الخيال والوهم.. وأن تتعاون جهات التعليم والثقافة والإعلام لصناعة الرجال القادرين حتى لا يحدث الخلل الذي أشرت إليه سابقاً.. وينتج عنه بطالات بشهادة عالمية.. في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى أيد.. مدربة.. تحمل أعباء التنمية في البلاد.

ولا بد من ربط.. يسمح للدول النامية بأن تتعاون فيما بينها بسبل علمية

---

(١) واس وهذا الحلم الجميل ـ مقالة للدكتور عبد القادر طاش ـ مجلة اليمامة ـ العدد ٩٣٧ ـ ١٤٠٧/٥/٧ هـ.

ومنطقية تقوم على أسس من الاحترام المتبادل الذي يجعل المعلومات.. والإنتاج ينتقل فيما بينها بطرق تسعد الجميع وتحترم حقوق الجميع.. بعقول متفتحة.. وأفكار واضحة، في مناخ من العدل والمساواة، وأن لا نشغل بعضنا بعضاً ولا أن نرتكب الأخطاء نفسها التي نشكو منها عند التعامل مع الدول المتقدمة.. وعلينا ونحن نحاول أن نسمع صوتنا للعالم أن نسير على بصيرة ووعي لتصل احتجاجاتنا ومطالبنا بأسلوب تفهمه شعوب هذه الدول.. ويلفت نظرها إلى طبيعة الاختلال في التوازن الحاصل وأن الهوة تتسع.. والفجوة تزداد وهذا لا يخدم المجتمع الدولي على المدى الطويل وبهذا نكسب تعاطف هذه الشعوب معنا ونتدرج في تصحيح المعادلة الإعلامية والثقافية.. ومن ثم الاقتصادية.. والاجتماعية.. حتى نزيل الطابع الاستعماري عن إعلامنا وثقافتنا.. ونتخلّص من استعمار تخلّصت منه دول بطرده من الباب فدخل من النوافذ، ولا بد من صحوة.. لإبعاد الغزو الجديد.. والهيمنة الجديدة.. وبخاصة في مجال الصحافة ووكالات الأنباء.. وعلينا أن نفرق بين ما يفد إلينا من غث أو دس.. أو تشويه.. وأن لا يصبح مجرد وسائل تردد ما يبث إليها دون تثبت أو تدقق في صحة أبعاد هذه المعلومات.. وعلينا أن نثق في مصادر أخبارنا وأن يعتمد بعضنا على بعض.. ونطور التبادل بصورة أوسع.. وأن نطور أنفسنا وإمكاناتنا وأن ننفتح على العالم ونقدم أشياء محترمة وموثوقة.. وصحيحة من جميع الجوانب الفنية والإعلامية.

وعلينا أن نكافح بكل جهد هذا الغزو السافر لنا والذي يتركز على شكل محطات إذاعية تقوم بتشويه عقائد الأمة وتشككها في قيمها.. وموروثاتها الإنسانية وهذا لون خبيث ومباشر.. تعاني منه الكثير من الدول النامية..

إن عملية تغيّر النظام الإعلامي العالمي.. عملية مهمة ولكنها شاقة ودقيقة.. ومعقدة.. ولكنها ضرورية. وجوهر هذه العملية كما يقول الأخ الدكتور أحمد أمبو مدير عام اليونسكو (السابق).. هو العمل على إقناع الرأي العام العالمي بأن المشكلات عالمية وبأن العالم بكل ما يحويه من تنوع إن هو إلا كون واحد

يتألف من عوامل متداخلة متكافلة، وبأن هناك تضامناً أساسياً بين البشر، وبأن الحلول القائمة على التوفيق تخدم مصالح الجميع..

ولكن.. وهذا هو السؤال المهم في رأيي هل نحن مقتنعون بهذا الأمر.. قبل أن نتحرك لإقناع الآخرين؟؟

الوقت الذي ستفتح فيه أبواب الدول النامية على مصاريعها أمام إرسال تلفزيوني مباشر، سوف تنص كل دولة كبرى على أنها تستهدف تقديم الفكر والثقافة وتستهدف الإعلام بلا تحيز وتستهدف دعم التفاهم بين الشعوب، لكن الهدف في حقيقته سوف يكون شريفاً على الورق فقط، أما في الفضاء فسيكون بلا ضمير، لأن الابتكارات التكنولوجية والاكتشافات العلمية لا زالت في أيدي الدول الكبرى وشركاتها، ولا تزال البلدان الصناعية تسيطر على ميدان العلوم والتكنولوجيا لدرجة أنها تقوم بحوالى ٩٥٪ من كافة أعمال البحث، في حين أن البلدان النامية والتي تمثل ٧٠٪ من سكان العالم لا تمثل قدرتها في مجال البحث أكثر من ٥٪ فقط.

إن تقنية الأقمار الصناعية تظهر مدى سيطرة الدول الصناعية عليها من حيث التصنيع أو من حيث فرض الأثمان والكلفة التي تراها الصناعة وإطلاق وصيانة الأقمار، وهذه الكلفة باهظة جداً للشعوب النامية الفقيرة التي تعاني أساساً من مشكلات تتصل بالغذاء وتضطر إلى وضع أولويات قد تجد فيها أن حق الطعام يزاحم أي احتياج آخر.

أخطار التحكم التكنولوجي:

تكمن الأخطار المحدقة بالجنس البشري بسبب التحكم التكنولوجي في توزيع المدارات والموجات والترددات، وهي مسألة بالغة الحيوية لأنها بنيت على سبق الدول الصناعية إلى اختراع الأقمار والصواريخ التي تطلقها، ومن ثم في اختيار أفضل الترددات والمدارات والاستئثار بالجزء الأعظم والأهم منها، وتكمن الأخطار على النحو التالي:

السيطرة على المدارات الفضائية:

إن إطلاق قمر صناعي مسافة ٢٢٣٠٠ ميل فوق خط الاستواء، فإن سرعته تساوي سرعة الأرض ولذلك فإنه يظل ثابتاً في مكانه ويظل متصلاً طوال الوقت بالمحطات الأرضية المرتبطة به، أما إذا تم إطلاق قمر على ارتفاع أقل ارتفاعاً ـ كما كان يحدث في بداية عصر الفضاء ـ فإنه لا يسير بسرعة تساوي سرعة الأرض، ولذلك، فإنه لا يتصل بالمحطات الأرضية سوى لفترة قصيرة في اليوم ثم يختفي عن نظرها. ويستدعي الأمر أن تكون المحطة الأرضية مجهّزة بمعدات معقّدة حتى تتابع القمر حينما يظهر في الأفق وحتى يختفي، وهذا يجعل المحطة الأرضية مكلفة للغاية، كذلك فهناك ميزة أخرى للأقمار الثابتة هي أنها بحكم ارتفاعها تستطيع أن تغطي مساحة أوسع من العالم، والكثير منها يستطيع أن يغطي ثلث الكرة الأرضية.

لذلك، فإن المدار الفضائي المرتفع فوق خط الاستواء هو المدار المفضل ولكن هذا المدار أصبح أكثر ازدحاماً من كثرة ما أطلق عليه من أقمار سواء كانت هذه الأقمار حية أو ميتة، فالمدار مكتظ بأجسام عديدة فقدت فائدتها، من بينها بقايا الأقمار التي تفتت، واصطدام هذه الأجسام بعضها ببعض أو بالأقمار العاملة أمر غير مستبعد، وقد يكون فائق الخطورة على الظواهر الجوية وتلوث البيئة.

لقد وضعت القوى الكبرى يدها على المدار الثابت متذرعة بأنه جزء من الفضاء الخارجي، وعلى هذا فاستخدامه متاح لجميع الدول وفقاً لمعاهدة الفضاء الخارجي عام ١٩٦٧. وواقع الأمر أنهم استخدموا قانون الغاب أو بالأحرى وضع اليد، فحتى الآن ما زال موضوع المدار الثابت محل خلاف قانوني، ولقد بات هذا الموضوع مطروحاً اليوم على بساط البحث لأن كثيراً من الدول والمختصين قد تنبهوا إلى هذا الخطر وعواقبه الوخيمة فطالبوا بوضع الضوابط والأحكام التي تتيح استخداماً سليماً لوسائل الاتصالات وتحول دون

تحويل هذه الوسائل إلى أدوات حرب وأسلحة تدمير فكري، فيما أن القوانين الدولية قد وضعت ضوابط لتحديد مدلولات التراب الوطني والأجواء الإقليمية، فإن الضرورة قد قضت الآن أن توضع ضوابط لتحديد الفضاء الوطني، بمعنى أن الفضاء الوطني ما يجب أن يصان ويحترم مثلما يصان ترابه وجوه وماؤه.

وفي المقابل، نادت جهات أخرى هي الجهات نفسها العابثة بالفضاء بضرورة إطلاق حرية استخدام الفضاء دون قيود واعتباره حقاً لمن يشاء من الدول القادرة.

لكن من هي تلك الدول القادرة؟ - هي نفسها - الدول المالكة للتكنولوجيا المتقدمة والعاملة على احتكار هذه التكنولوجيا ومنعها عن الآخرين إلا بواسطتها.

الربط بين تكنولوجيا الفضاء وتكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية:

فإن التطور الذي حدث في مجال الحاسبات الإلكترونية (الكمبيوتر) تطوُّر فاق كل حد. وعلى سبيل المثال، انكمش حجم الكمبيوتر إلى جزء من عشرة آلاف جزء عبر ربع القرن الماضي. أي أن الكمبيوتر الذي يبلغ اليوم متراً مكعباً يستطيع أن يقوم بالعمليات نفسها التي كان يقوم بها كمبيوتر حجمه عشرة آلاف متر مكعب في أواخر الخمسينات، وزادت سرعة الكمبيوتر في العمل خلال هذه المدة بما يقرب من خمسين ألف مرة.. وانخفضت تكاليفه ١٨٠ مرة، فالكمبيوتر الذي كان يكلف عدة ملايين من الدولارات عندما تم اختراعه أصبح يكلف الآن ٣٠٠ دولار فقط، وفي حين كانت تكاليف أداء مليون عملية حسابية تبلغ عشرة دولارات عام ١٩٧٠ أصبحت تكلف الآن ٢ سنت.

ومع ذلك، فإن الحاسبات الإلكترونية لا تكاد توجد سوى في الدول الصناعية، أما الدول النامية، فلا يوجد بها أكثر من ٣٪ من الحاسبات الإلكترونية في العالم.

ويقدّر حجم التعامل في تلك الحاسبات بحوالى مائة مليار دولار في العالم.

وترجع ضخامة هذه السوق وخطورتها إلى المزاوجة بين الحاسبات الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصالات وخاصة الاتصالات الفضائية، إذ أمكن بهذه الطريقة استخدام هذه النظم الجديدة في أعمال لم تكن تحلم بها من قبل، كتخزين المعلومات عن الأفراد والدول والثروات والتحكم فيها بهذا التزاوج والترابط بين تكنولوجيا الفضاء والحاسبات الإلكترونية. حيث تختزن تلك المعلومات المفصلة والدقيقة في بنوك المعلومات في الولايات المتحدة والدول الصناعية الكبرى.

تلوّث الفضاء:

لقد ازدحم الفضاء حتى الآن بالنفايات من أقمار صناعية هامدة، إلى محركات صواريخ مستهلكة، إلى صواميل ومسامير وبطاريات.. الخ، حتى لقد جرى التفكير في تحويلها إلى مدارات خاصة تعتبر عندئذ كأنابيب الصرف الصحي، وهذه النفايات قد تصطدم بالأقمار الجديدة التي ستنطلق في المستقبل.

وقد أصبحت مشكلة تلوث الفضاء من المشكلات التي تؤرق العلماء، فإن الصواريخ التي استخدمت في السنوات الأخيرة كانت أكبر حجماً وقوة وأدى إشعال أجهزة الدفع الخاصة بها على ارتفاعات كبيرة في اضطراب كبير في انتشار الموجات اللاسلكية، كما أن الغازات التي تطلقها هذه الصواريخ أثرت على الغلاف الجوي للأرض، وكذلك فإن بعض التجارب الفضائية التي تستخدم فيها مواد ذات تفاعلات كيمائية ـ مثل الأبخرة المعدنية ـ أدت بالفعل إلى تدهور البيئة الطبيعية. وإضافة إلى هذا، فإن الإشعاع الكبير للطاقة في الفضاء الصادر من محطات الإرسال اللاسلكية المستخدمة على الأرض لأغراض مختلفة والصادر من محطات الرادار القوية ومن خطوط توزيع الطاقة الكهربائية، أدت كلها إلى اضطرابات كبيرة في الفضاء مما سيعوق طاقة الأقمار ذاتها. يقال

أيضاً أن تعوق الآن عدداً من الأبحاث الفلكية، ولعلّ انفجار المفاعل الذري (شرنوبيل) في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وانتشار الغبار الذرّي حتى وصل إلى أوروبا، كان ناقوس خطر مما يهدد الجنس البشري. وأن نقص مادة (الأوزون) في الغلاف الهوائي نتيجة للتجارب الذرية وأبحاث الفضاء أدى إلى العديد من الكوارث كالزلازل وتفجر البراكين والفيضانات والأعاصير، مما سيكون له على المديين القريب والبعيد من خطر يداهم الكرة الأرضية.

وتبقى حقيقة الأمر أن الإنجازات التكنولوجية مهما كانت إنما تحدد قيمتها، خيراً أو شراً بما تؤديه من أعمال وما تقوم به من ممارسات. ويبدو ـ للأسف الشديد ـ أن الذين يملكون هذه التكنولوجيا يفضلون الاستخدام الشرير على الاستخدام الخيّر ويريدون أن يجعلوا كل إنجاز وسيلة أخرى من وسائلهم العدوانية التسلطية.

وهكذا، تكمن الأخطار التكنولوجية والتي كانت البشرية تأمل منها خيراً وأماناً فإذا بها تلقى على يديها شراً وندامة.

ولقد أصبح من المؤكد أن سلطان الإعلام قد غدا خطيراً وفعالاً ومؤثراً في المجتمعات إلى حد أنه يمكن القول بأنه القوة المحركة لكل القوى الاجتماعية أو أنه الجهاز العصبي للمجتمع، وكما قلنا فإن الذي يسيطر على الإعلام والثقافة ـ وهما وجهان متكاملان من أوجه النشاطين الفعلي والفني ـ لا بد وأن يسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومن المؤكد أنه خلال سنين معدودة سوف تتمكّن الدول المتقدمة باستخدامها للأقمار الصناعية من أن تجعل إرسالها التلفزيوني يغطي كافة أنحاء الكرة الأرضية كما هو الحال في الإرسال الإذاعي تماماً. والخطر الكامن في هذا الأمر أن الرجل العادي في أي مكان من العالم النامي سوف يجلس أمام شاشته الصغيرة في غرفة مغلقة ويحوّل مؤشر الجهاز ليشاهد البرامج التي تأتيه عبر المحيطات والبحار والصحارى دون أي رقابة بما في ذلك الأفلام الخلاعية

والمنحرفة والبرامج ذات القيم والمضامين المتناقضة مع قيم ومضامين مجتمعه، ومع العادات والتقاليد وأنماط السلوك السائدة فيه.

إن الدول النامية المعرضة لهذا الغزو الثقافي الذي يتخذ التكنولوجيا المتقدمة أداة له تمثل ٧٠٪ من سكان العالم، ولكنها لا تملك سوى ٥٪ من أجهزة الإرسال التلفزيوني، و١٢٪ من أجهزة الإستقبال التلفزيوني، و ١٨٪ من أجهزة الإستقبال الاذاعي، و٢٧٪ من محطات الإرسال الإذاعي، وهي لا تستهلك سوى ٩٪ من ورق الطباعة ولا تمثل أكثر من ١٧٪ من توزيع الصحف.

لقد أوضحت الإحصائيات والدراسات التي أجرتها منظمة اليونسكو أن ٩٠٪ من الأخبار التي يتداولها العالم يومياً هي من إنتاج وتوزيع وكالات عالمية لا يزيد عددها عدد أصابع اليد الواحدة. وواحدة من هذه الوكالات توزّع وحدها ١٧ مليون كلمة في اليوم، في حين أن كافة وكالات العالم الثالث لا توزع أكثر من ٢٠٠ ألف كلمة يومياً.

فوسائل الإعلام الدولية في أيدي الكبار وليست في أيدينا، ولأن الأنباء تصاغ وتكيّف في نشاط إخباري محموم ومسموم يخدم رغبات وسياسات القوى المسيطرة. وهذه الرغبات لا تقتصر على تشويه صورة العرب والمسلمين في الخارج وإنما تعمد إلى تخريب مجتمعاتنا من الداخل.

إنهم يعمدون إلى تصدير أحطّ أنواع الإنتاج الأجنبي إلينا والذي ينقل صوراً كريهة عن مجتمعات منحلّة ومتفككة ليلها خمر ونهارها مخدرات وحياتها قتل وسلب وعنف. وإطارها المادية المجرمة التي لا تقيم وزناً كثيراً ولا قليلاً لخُلق أو دين.

إنهم لا يصدرون هذا الغثاء إلينا سعياً وراء كسب مادي فقط، فأسواق الدول النامية جميعاً لا يمكن أن تمثل ١٠٪ من إيرادات الهيئات الإعلامية الأجنبية، وإنما القصد هو تخريب العقول ومحاولة اقتلاع كل القيم من جذورها واستبدالها بقيم أخرى غريبة. إن الغزو الثقافي استثمار استعماري رخيص الكلفة

مهما بلغت نفقاته. فبدلاً من إطلاق صاروخ مدمّر يكلف مليون دولار، يمكنهم إطلاق قذيفة فكرية مسمومة لا تكلف معشار ذلك المبلغ. وبدلاً من التضحية بسرب من الطائرات التي يزيد ثمن الواحدة منها عن اثني عشر مليوناً من الدولارات، يقيمون محطة إذاعة لا تزيد تكلفتها عن بضعة ملايين تحقق من الفتك والتخريب أكثر مما يفعل الصاروخ والطائرة والمدفع.

إن آلة التصوير التي يتم بها تصوير الأخبار والأفلام مصنوعة في الدول الصناعية، والمصورون والصحفيون الذين يقومون بتغطية الأخبار العالمية هم أجانب، والمحطات التي ترسل منها هذه الشرائط إلى الأقمار الصناعية هي الأخرى مصنوعة في الخارج.. الموجات التي تبث تلك المحطات يسيطر عليها الكبار، الأقمار الصناعية في أيديهم وكذلك الصواريخ التي تطلقها، والوكالات العالمية تابعة لهم، وشبكات التلفزيون وكبريات الصحف والإذاعات الموجهة في أرضهم، ورؤوس الأموال التي تتحكم في هذا كله وتشغّله، هي رؤوس أموالهم.

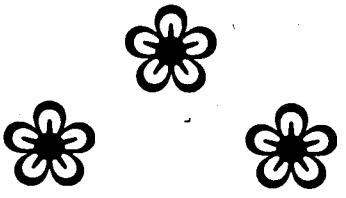

كيف يتصدى العالم العربي والاسلامي للغزو التكنولوجي؟

إن الدول النامية ومملكتنا بالذات جادة في امتلاك التكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الفضاء، كما أننا نعمل فعلاً على تطوير وإعداد الكوادر البشرية اللازمة لمختلف مجالات التقدم في حياتنا.

غير أنه ينبغي التفرقة بوضوح بين شراء التكنولوجيا وصنع التكنولوجيا.

خطورة التبعية والاعتماد:

نحن الآن في الدول النامية عموماً نشتري التكنولوجيا على نطاق واسع جداً ولكن نصنعها على نطاق ضيق جداً، إن ما لدينا من وسائل تكنولوجية متقدمة يمكن أن تتحول في لحظة إلى كومة من «الخردة» إذا ما احتاجت إلى قطعة غيار واحدة، ولو كانت في حجم الأصبع وتعذر الحصول عليها، ولا علم لنا بتصنيعها.

وهذه هي أبعاد السياسة التي تتبعها الدول المتقدمة. فهي تبتكر أحدث الإنجازات التكنولوجية، ولكنها تربطها بها بحبل متين هو: الصيانة وقطع الغيار. فما فائدة التكنولوجيا في هذه الحالة إذا بقينا مستهلكين لا حول لنا ولا قوة ولا تخطيط لخدمة أهدافنا الوطنية. فما فائدة كمبيوتر بالغ الحداثة يضاهي أعظم ما يماثله في أعظم الدول، نستخدمه ولكننا نستمد عمله وصيانته من صانعيه؟

وما يكون من أمرنا إذا حجب الصانع عنا وسائل الصيانة وقطع الغيار؟

إذن، في مقدمة المقاومة والتصدي: تصنيع التكنولوجيا والتخلص ولو على مراحل من سيطرة الدول الصناعية الكبرى ولا بأس أن نعتبر شراء التكنولوجيا مرحلة مؤقتة نساير فيها التطور الحضاري العالمي ونعمل في الوقت نفسه على أن نصنع وننتج تكنولوجيا خاصة بنا.

إننا نتطلع إلى اليوم الذي نصنع فيها التكنولوجيا بأيدينا. نتطلع إلى يوم يظهر فيه كمبيوتر كتب عليه «صنع في المملكة العربية السعودية» أو في أي بلد إسلامي أو عربي آخر.

نتطلع إلى يوم تصبح فيه البحوث العلمية العميقة والجادة جزءاً أساسياً من حياة مؤسساتنا التكنولوجية والفنية، وهذا ممكن ـ بتوفيق الله ـ فلدينا كثير من النوابغ في العلوم التكنولوجية العصرية، ولدينا الكثير من المتفوقين، ولدينا خطط تنفذ بالفعل لصنع التكنولوجيا والاستغناء عن استيرادها.

والأمثلة كثيرة على دول كانت نامية ثم استطاعت أن تلحق بالدول الصناعية بل وتزاحمها في هذا المجال.

التقنية لا تُشترى ولكنها تُصنّع:

ولا جدال في أننا في الدول النامية جادون في امتلاك التقنية، وخصوصاً تقنية الفضاء، كما أننا نعمل فعلاً على تطوير وإعداد الكوادر البشرية اللازمة لمختلف مجالات التقدم في حياتنا.

وقبل أن أبدأ الحديث عن موضوع التقنية، أود أن أفرّق بوضوح بين شراء التقنية وصنع التقنية، فنحن في الدول النامية اليوم نركز على شراء التقنية على نطاق واسع جداً ولكننا نصنعها على نطاق ضيق جداً.

إن ما لدينا من وسائل تقنية متقدمة يمكن أن تتحول في لحظة إلى كومة من الخردة إذا ما احتاجت إلى قطعة غيار واحدة ولو كانت بحجم الأصبع وتعذر

الحصول عليها ولا علم لنا بتصنيعها.

وهذه هي أبعاد السياسة التي تتبعها الدول المتقدمة، فهي تبتكر أحدث الإنجازات التقنية ولكنها تربطها بحبل متين هو: الصيانة وقطع الغيار، فما فائدة التقنية في هذه الحالة إذا بقينا مستهلكين لا حول لنا ولا قوة ولا تخطيط لخدمة أهدافنا الوطنية.

وقد يجوز لنا أن نعتبر شراء التقنية مرحلة مؤقتة نساير فيها التطور الحضاري العالمي، ونعمل في الوقت نفسه على أن نصنع وننتج تقنية خاصة بنا[1].

دور الشبكة الفضائية العربية (عرب سات):

إن القمر الصناعي العربي (عرب سات) هو واحد من أنجح المشروعات العربية في التاريخ الحديث الذي يتم بوساطته تعزيز استقلالنا في مجال الفضاء. وبرغم أن القمر مصنّع في الخارج، وبرغم إطلاقه الذي يتم بوساطة صواريخ أجنبية، إلاّ أنه ـ على الأقل ـ يخلصنا من تحكم الشبكات الفضائية التي كنا نلجأ لاستخدامها والتي كانت تضيع علينا الكثير من الفرص للبث المباشر أو الحي، وتفرض علينا أن نسير وفق ظروفها وتوقيتها دون أي اعتبار لطبيعة الحد عندنا.

ولقد سبق إطلاق القمر العربي الأول في عام ١٩٨٥م تكوين لجنة عربية مشتركة لاستخدام الشبكة الفضائية للإعلام والثقافة والتنمية عقدت أول اجتماعاتها في ١٥، ١٦ ربيع الآخر ١٤٠٣هـ، ٢٨ /شباط فبراير و١ مارس /آذار ١٩٨٣م، حيث تشرفت برئاسة هذه اللجنة في دورة تأسيسها الأول، وقد ضمت اللجنة في عضويتها المنظمات والاتحادات والوزارات المعنية بالشؤون الإعلامية والثقافية والتنمية في الوطن العربي، وعكفت اللجنة على وضع الخطط الكفيلة باستخدام الشبكة الفضائية العربية بأقصى قدر ممكن من الكفاءة في

(١) الدكتور محمد عبده يماني. أقمار الفضاء.. غزو جديد. الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م. (سلسلة دراسات تلفزيونية،٩) ص: ٦ ـ ٦٣.

مختلف المجالات الإعلامية والثقافية والتنمية، كما تدارست العقبات والمشكلات التي تواجه البث الجماعي والمشترك. واستمرت هذه اللجنة في اجتماعات دورية سنوية من أجل مواصلة رسالتها وتحقيق أهدافها برئاسة معالي الدكتور علوي درويش كيال وزير البرق والبريد والهاتف في المملكة العربية السعودية.

وفي ٢٦ فبراير/شباط ١٩٩٢م الماضي، تم إطلاق القمر العربي الثالث بواسطة صاروخ أيريان، ويعد هذا القمر الثالث آخر قمر في سلسلة أقمار الجيل الأول عرب سات.

ولكن المشكلة أن القمر العربي لا بد من استقبال إرساله عن طريق المحطات الأرضية، أو بوساطة (Dish) صحن كبير الحجم في حالة القنوات غزيرة الإشعاع، فهو منافس غير قوي للغزو الإعلامي الذي سبق ذكره وخطورته، وقد تعمّدت الشركات المصنعة ذلك حين تصميمها للقمر العربي. وفائدته الكبرى تجارية أكثر منها إعلامية، فلا يستطيع المشاهد في منزله أن يلتقط الإرسال كما يحدث بالنسبة مع الأقمار D.B.S والتي كان قد تم تعميمها وإرسالها إلى الفضاء قبل الانتهاء من تصميم القمر العربي وإطلاقه.

وتعد المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية حالياً لإطلاق أقمار الجيل الثاني، حيث من المقرر إطلاق القمر الأول منها في عام ١٩٩٥، ومع أنه قد مضى على إطلاق القمر العربي الأول حوالى ٧ سنوات، إلا أنه لم يستخدم إمكانات الشبكة الفضائية العربية بالفاعلية المنشودة، حيث إنه ما زال بها فاقد بنسبة كبيرة لم تستغل بعد.

ومع ذلك، يمكن القول بأن القمر العربي قد أسهم، في دعم التواصل بين الأقطار العربية، وكذلك في محاولة الوصول إلى بعض المشاهدين في أوروبا وأفريقيا، وبدأت تنشأ قنوات عربية فضائية دولية لكي تسهم بدورها وتستفيد بقدر الإمكان من ظاهرة عالمية الاتصال والتصدي العلمي والعملي للبث المباشر عبر الأقمار الصناعية الدولية، والمشاركة في هذا البث.

وتمثّل الخطوة التي أقدمت عليها كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية بتأجير قناتي التلفزيون الجماعي غزيرتي الإشعاع على القمر الصناعي العربي دفعة قوية باتجاه استثمار إمكانات القمر والعمل على تحقيق أهدافه في المرحلة المقبلة.

التأهيل للتعامل مع تقنية الاتصال الحديثة وتطوير الإنتاج الإعلامي:

إن البرامج التي تبث بواسطة الأقمار الصناعية العربية الإسلامية يجب أن تكون على مستوى من الجودة بحيث يمكن أن تقبل الدول العربية تبادلها.

وهنا تأتي أهمية التدريب للكوادر العاملة في الحقل الإعلامي سواء في مجال التشغيل والصيانة أو في مجال الإنتاج، فالمشكلة تظل كامنة في إعداد الكوادر البشرية لتشغيل تلك الأجهزة، والإنتاج مادة إعلامية غنية تقدم في قالب فني متطور.. وهنا يبرز الدور الذي يجب أن تقوم به المعاهد الجامعية والتقنية ومراكز التدريب الفني. ومرة أخرى، فالمسألة لا تقتصر على قيام هذه المعاهد، إذ ربما كان هذا هو الأمر الأيسر.

لكن ما الذي تقدمه هذه المعاهد؟ وما هي أهدافها؟ ومن الذي يتخرج منها؟

فمع تزايد الإقبال على أقسام الإعلام في جامعاتنا، يجب ضرورة دعم تلك الأقسام بمزيد من الكفاءات المتخصصة وتنويع قاعدة المناهج فيها على ضوء حاجاتنا المتوقعة للغد القريب والبعيد، مما يؤدي إلى نجاح مقاومة الغزو الإعلامي بسد حاجات المشاهد والمستمع بما يتفق مع مبادئنا وديننا وأخلاقنا.

إن عملية التدريب لهي الأمل، ليس فقط في تشغيل الأجهزة وصيانتها وإنما ـ الأساس ـ لتحقيق مستوى من الإنتاج قادر على المزاحمة والمنافسة في أثير الفضاء، كما على الأرض، وانتداب آذان تسمع وعيون ترى، ومن ثم التأثير بمستوى هذا الإنتاج ومضمونه، فضلاً عن الذود به عن شخصيتنا الثقافية وقيمنا الحضارية.

يجب أن نستعدّ من الآن للمزاحمة والمنافسة التي ستبدأ مع عصر الأقمار الصناعية المباشرة، فسوف يجد المشاهد أمامه عندئذٍ ألف خيار وخيار، سيجد أمامه قنوات متعددة في وقت واحد، ربما في كل وقت من الليل والنهار، وفي ظل هذا الغزو الفضائي الذي لن تحدّه حدود، فإن اختيار المشاهد سوف يكون هو الفيصل الحاسم في عملية المشاهدة.

ولذلك، فقد بدأت وزارة الإعلام في المملكة العربية منذ عدة أعوام في بث مناسك الحج التي تقع في أراضينا المقدسة بجميع وقائعها عبر الأقمار الصناعية ليشاهدها العالم كله في جميع أرجائه. وهو إنجاز تم ـ بفضل الله ـ لأول مرة في التاريخ وبات نشاطاً تقليدياً، كذلك متابعة مؤتمرات القمة العربية والإسلامية، تلك هي الخطط المدروسة والنافعة التي نسد بها ينابيع الغزو الإعلامي المدمر.

هذا بجانب ما ذكرناه بين ثنايا هذا الكتاب من تنسيق وتعاون بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية وبين رجال الإعلام تعاوناً يعمّق عقيدة الإسلام وشريعته وخلقه في النفوس وتقديم انتاج إعلامي، لحمته وسداه الإسلام.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1].

وتبدو عملية التأهيل مهمة من الناحية العلمية والمهنية للكوادر الإسلامية، فقد كشفت حرب الخليج قصوراً واضحاً عند الكثير منهم في هذا المجال.

كما أوضحت أن عدم التأهيل كان يعوق قدرتهم على استيعاب الأحداث أو حتى على إجراء الاتصالات الإعلامية الصحيحة.. والنفاذ إلى موقع الأحداث واستيعابها وتحليلها في خضمّ التسابق الرهيب لوسائل الإعلام العالمية، ولذلك فإن التأهيل ضرورة إذا أردنا أن يكون الإعلام قوياً وفاعلاً ومؤثراً.

وتبدو عملية التدريب المستمر كذلك قضية أساسية لبناء رجل إعلام المستقبل، وذلك لأن معظم العاملين في هذا المجال اليوم بحاجة إلى دراسات

---

(١) سورة البقرة، آية (١٣٨).

لتحسين مستواهم وتطوير أدائهم، حتى يستطيعوا أن يتعاملوا مع الأدوات العالمية الجديدة ووسائل الاتصال والتقنية التي فرضت نفسها على رجل الإعلام، وأصبحت تستوجب أن يكون مؤهلاً حتى يتمكن من فهمها واستخدامها، وبالتالي إدراك اللغة الإعلامية التي يتعامل بها الآخرون.

ولا شك أن طريق التأهيل لرجال الإعلام لا يحقق الهدف الذي نسعى إليه لا في الجامعات ولا في خارجها، ومن هنا تأتي أهمية وضع برامج للتدريب بصورة تحقق الهدف المنشود لتطوير أداء العاملين في الإعلام في شتى المجالات، حتى نستطيع أن نتعامل مع العالم بمستويات متطورة وبقدرات تمكّن من استيعاب اللغة الإعلامية العالمية.

ونظراً للنقص الحاد في العاملين المدرَّبين على نحو ملائم في كثير من بلادنا العربية، فإنه يجب أن تظل قضية تنمية موارد القوى العاملة تحظى بأولوية الاهتمام من قِبل واضعي السياسات والمخططين، وأن الحاجة إلى مواءمة التدريب لظروف البلاد وتطلعاتها، أو الروابط الوثيقة بين الاتصال والتنمية، كلاهما يجب أن يتم التدريب في الموقع، ويحظى اليوم مبدأ تنظيم التدريب الإعلامي الأساسي محلياً أو إقليمياً في ظروف ثقافية مألوفة بتأييد واسع النطاق ويتعيّن الأخذ به والتوسع فيه في المناطق.

ولا شك أن حقل الإعلام بما يتضمنه من فنون وتقنيات عديدة يتطلب تنمية مهارات وقدرات من يشتغلون به، ورعاية المبدعين منهم، فضلاً عن ضرورة توفير التعليم الأساسي في كليات ومعاهد إعلام متطورة، تدرس المناهج العلمية لهذا المجال وفق أحدث الاتجاهات، ولعلنا نلحظ أننا في عالمنا العربي نفتقر إلى تدعيم هذه السلسلة المترابطة التي تبدأ بالتعليم الأساسي إلى جانب التعليم التخصصي، ثم متابعته بالتدريب العملي في المواقع الإعلامية من أجل رفع مستوى كفاءة العاملين في مختلف مراحل العمل، ومن ثم مواكبة التطورات المتلاحقة في المجال عن المستوى العالمي والمشاركة في إحداث تلك التطورات.

وكذلك، فإن بروز مواهب مبدعة تتطلب ـ ولا شك ـ رعاية خاصة لهذه المواهب التي قد تنطفىء ذروة إبداعاته إذا لم نتعهدها بالدعم والتشجيع، وتوفير الإمكانات الفنية والعلمية ودعم مراكز المعلومات الإعلامية والمكتبات والمختبرات وكافة تجهيزات الاتصال وتقنياته.

ويقضي الوضع الحالي بإنشاء أكاديميات متخصصة على مستوى رفيع لتكوين كوادر إعلامية قادرة على الإجادة والإبداع ومستوعبة للاتجاهات والتقنيات الحديثة، بالإضافة إلى ضرورة تنظيم مهرجانات وملتقيات ومسابقات ثقافية بصفة دورية منظمة لتحفيز المبدعين وتشجيعهم على الدأب واستمرار التقدم.

وتنمية المواهب الإعلامية ورعايتها لا يقتصران على تعليم فنون الاتصال أو الإلمام بطبيعة وسائل الاتصال الجماهيري ونظم الإعلام، وإنما تمتد لتشمل كيفية وضع السياسات والاستراتيجيات الإعلامية الملائمة لوطننا العربي بأقصى درجة من الفاعلية والتأثير، وفي إطار من قيمنا ومبادئنا. كما تمتد لتشمل كيفية المشاركة في تصنيع وتطوير تقنيات الاتصال وعدم الاتصال وعدم الاكتفاء بمعرفة كيفية تشغيل وصيانة تقنية مستوردة.

ومن ناحية أخرى، فإن الإبداع الإعلامي العربي لكي يكون جديراً بالتشجيع قادراً على المنافسة، فإنه ينبغي أن يوجّه عنايته إلى ترقية الإنتاج والبرامج الإعلامية على اختلاف صورها المطبوعة والمسموعة والمرئية، لتقف صامدة في مواجهة الغزو الثقافي والإعلامي الخارجي، مجتذبة مشاهدينا ومستمعينا وقراءنا، مكتسبة ثقتهم وصدقيتهم، محققة الفوز عند التنافس بما تبرزه مبادىء وقيم عربية وإسلامية سامية، وبما تعرضه من رسالة إعلامية ذات مضامين أكثر ثراءً وتنوعاً وحيوية.

الفصل الرابع

الإعلام والمجتمع العربي

- الغزو الثقافي الوافد عبر الفضاء
- الإعلام وثقافة الطفل
- الإعلام والأمن
- التلفزيون العالمي هل يؤدي إلى نمو الجريمة في العالم العربي والإسلامي؟
- الإدمان التلفزيوني
- دور الرقابة والمنع
- هل يؤثر التلفزيون العالمي في نمو الجريمة في العالم العربي؟
- أثر التلفزيون عبر الأقمار على العالم العربي خاصة
- الإعلام ونمو الجريمة
- القدوة والمثل والعبرة
- التفسير الفيزيولوجي
- التفسير السيكولوجي
- التفسير النفسي الاجتماعي
- ما هي الوسائل الإيجابية للتخفيف من هذه الأخطار؟

الغزو الثقافي
الوافد عبر الفضاء

إن الذي يملك التقنية المتقدمة في مجال الاتصال هو الذي يملك أداة الغزو الثقافي، والغزو الثقافي بهذه الوسائل بالغة التطور والتأثير أمر تصعب مقاومته، لأن له القدرة على اختراق الحدود الإقليمية وجدران المنازل لممارسة تأثيره في الأدمغة والضمائر، ولصياغتها من جديد على هوى صاحب الرسالة المبثوثة في الهواء. وإذا كان اختراق الجيوش للحدود يعتبر عدواناً يجد من يقاومه، فإن اختراق الوسائل الإعلامية لهذه الحدود ذاتها، أو للضمائر نفسها لا يعتبر حتى الآن عدواناً، ولا يجد من يتصدى له، لأن التصدي له يحتاج إلى مهارة هائلة، وتطور تقني ليس متاحاً للدول التي يغزوها الاستعمار الثقافي، وإنما هو طوع بنان الغزاة المستعمرين.

ومن المؤكد أنه خلال سنين معدودة، سوف تتمكن الدول المتقدمة باستخدامها لأقمار الاتصالات من أن تجعل إرسالها التلفزيوني يغطي كافة أنحاء الكرة الأرضية كما هو الحال في الإرسال الإذاعي تماماً، والخطر الكامن في هذا الأمر أن الرجل العادي في أي مكان في العالم النامي سوف يجلس أمام شاشته الصغيرة في غرفة مغلقة ويحوّل مؤشر الجهاز ليشاهد البرامج التي تأتيه عبر المحيطات والبحار والصحاري دون أية رقابة، بما في ذلك الأفلام الخليعة والمنحرفة والبرامج ذات القيم والمضامين المتناقضة، ومن العادات والتقاليد وأنماط السلوك السائدة فيه.

وما من أحد يستطيع ـ حتى الآن ـ أن يقف في وجه هذا العدو الرهيب، لأن المواجهة تحتاج إلى مستوى متقدم من التقنية يماثل التقنية الغازية.

إن ثقافة البلد هي هويته الوطنية التي لا يجوز لأي كان ولأي سبب السماح بتشويهها أو تطعيمها بثقافات هجينة غير ذات مستوى.

فإذا كنا نعتز بترابنا الوطني ونذود عن أجوائنا ومياهنا الإقليمية، فإن الفكر الوطني ـ أي مجموع ثقافة الوطن ـ يجب أن يكون كذلك في منجاة من العدوان حتى ولو اتخذ شكل كتاب، أو هيئة صحفية أو صورة موجة إذاعية، أو شكل برنامج تلفزيوني.

وأنا هنا أفرّق بين الغزو الفكري والتفاعل الفكري. فالغزو الفكري هو عملية استعمارية عدوانية تسلطية لا شك فيها، وهو ما يتوجب علينا أن نحاربه. أما التفاعل الفكري فهو ممارسة حضارية، نأخذ فيها من العالم، أيّاً كان ونعطيه ضمن ضوابط ديننا وأخلاقنا ومجتمعنا وثقافتنا الخاصة. وإذا كان الاستعماريون يحاولون الخلط بين الاثنين بتضليلنا عن حقيقة الغزو الفكري وإبرازه كتفاعل حضاري، فإن مهمتنا هي بالتحديد، التصدي لذلك النتاج، وفرزه بوعي وذكاء، فما يلائمنا نأخذه، بعد أن نطمئن إليه، وما تعارض مع قيمنا ومبادئنا ننبذه، ونحاربه، وندعوا إلى مقاطعته والابتعاد عنه.

وأود أن أشير هنا إلى أننا لسنا بصدد الحديث عن التبادل الثقافي الذي هو ضرورة حتمية في ظل الحضارات المختلفة، إذ أن هذا التبادل يقوم على الانتخاب أو الانتقاء الحر، وبالتالي فلا ضرر منه ولا خطر فيه، بل فيه بالتأكيد مصلحة ومنفعة، وإنما الحديث عن الغزو الثقافي الذي يعتمد على عملية اقتحام شاملة للأثير تستهدف بدورها اقتحام الثقافة والقيم الوطنية وإعادة صياغتها بما يتناقض مع التراث والعادات القومية والعرقية. والخطر الذي نتحدث عنه هنا هو الخطر الناجم عن غزو الأثير، أو غزو ثقافتنا عن طريق الإذاعة والتلفزيون وما تتيحه الأقمار الصناعية لهما من قدرة لا ضابط لها في التأثير على الثقافات

والقيم الأخرى، دينية كانت أو اجتماعية في عملية غير متكافئة تتم بها سيطرة الثقافة المسلمة بالتقنية المتطورة على سواها من الثقافات العزلاء ـ إن صح التعبير ـ وتكون النتيجة الحتمية تشويهها ومسخها وصياغة للشخصية على هوى القوى الغازية عبر هذه الأقمار أو القوى الاستعمارية الجديدة.

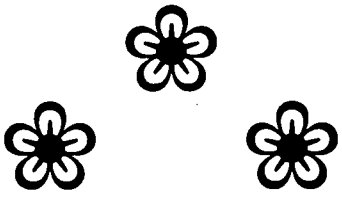

الإعلام وثقافة الأطفال

ثم نأتي إلى قضية مهمة بالنسبة لموضوع الإعلام وثقافة الطفل. فالحقيقة أننا في الوقت الذي نحس فيه بأهمية الدور الذي يجب أن يلعبه الإعلام ككل، سواء في الإذاعة والتلفزيون أو حتى في الصحافة بالنسبة لأطفالنا وخاصة في هذا الوقت الذي يتعرضون فيه لسيل من الأخطار من خلال المجلات وبرامج التلفزيونات الأجنبية المترجمة والتي دون شك تساهم إلى حد كبير في تغريب عقلية أبنائنا وإبعادهم عن دينهم وعن تراثهم، وهذا ما يجعل الأمر له ضرورة قصوى بالنسبة للإعلام ودوره في إيجاد البديل وتحمّل المسؤولية في هذا المجال.

إذن، الإعلام مطالب بأن يجد البديل المناسب لأنه على أي الأحوال لن يستطيع أن يقف في وجه كل هذه التيارات، ولن يستطيع أن يمنع أطفالنا من مشاهدة كل هذه الأفلام وبرامج الكرتون وبرامج الأطفال المشوقة إلا إذا أوجد البديل المناسب، وهذا الأمر في الحقيقة هو مسؤولية مشتركة بين البيت والمدرسة والمجتمع وأجهزة الإعلام والثقافة. ولكن الواقع الذي نعرفه بالنسبة لارتفاع نسبة الأمية وضعف قدرات الناس في مجتمعنا العربي والإسلامي في منازلهم على تحمل هذا الدور يجعل المسؤولية أكبر على الإعلام، وكما يقول الأخ الاستاذ عبد التواب يوسف وهو من المختصين في موضوع كتابات الأطفال والإعلام بالنسبة للطفل العربي والمسلم، يقول: «إنه يكفينا من الأسر ألا تعرقل جهودنا في أداء دورنا، إذ أن كثيراً ما تقدم قشور الدين وأشياء بعيدة عنه». ولهذا،

فالإعلام يتحمل المسؤولية الكبرى، والمدرسة على ما لها من أهمية بالنسبة لغرس القيم لكنها ما تزال في مراحلها الأولية وغير قادرة على حمل هذه المسؤولية في الإعلام والدعوة وربط الأطفال بقيمهم لكثرة ما فيها من حشو ومن مناهج مزدحمة تجعل المدرس غالباً ما يكون منشغلاً بتدريس هذه المناهج عن قضية التربية عامة، فضلاً عن العناية بموضوع التصدي لهذه البرامج الوافدة وبما تعمل وما تقوم به من تشويه ومن ذبذبة ومن تأثير في أخلاق أبنائنا.

وفي بعض الأحيان، نجد أن الكتب المدرسية بما تحشد من أمور فوق مستوى إدراك الأطفال تضيّع هذه القيم، والقيم لا تترسخ إلا عندما تكون مناسبة وتنساب انسياباً طبيعياً ويصاحب ذلك تربية إلى غير ذلك ولهذا، فإنّ هذه الأمور كلها تجعل المسؤولية أكبر على الإعلام، وأن عليه أن ينهض وألا يركز على البرامج المستوردة، لأنه بذلك يوسع الفجوة بينه وبين المجتمع وبين ثقافة الطفل ويغرّب أطفالنا كما قلنا.

على أننا عندما نتكلم عن ثقافة الطفل لا نعني به بطبيعة الحال زيادة عدد البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزيون، ولكننا نعني صناعة تصل إلى عقل الطفل وتتناسب معه، وبرامج مشوّقة بالنسبة للناشئة تربطهم بالإسلام وتحببه إليهم وتساهم في غرس القيم والأخلاق فيهم.

ولا بد في الاستفادة من المناسبات العظيمة كرمضان والحج والأعياد وهجرة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ومولد الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) وذكرى الإسراء والمعراج، وغير ذلك من المناسبات الهامة لصناعة برامج معقولة وجيدة للأطفال ترسخ هذه القيم الدينية لديهم وتحقق في الوقت نفسه الأهداف التعليمية والتوجيهية والثقافية في إطار ترويحي إعلامي تربوي مقبول.

لا شك أن قراءة القرآن مثلاً، عملية مهمة، والله سبحانه وتعالى أمرنا بهذه التلاوة، وأوضح لنا الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بركات هذه التلاوة وآثار هذه التلاوة على النفس، ولكننا حتى الآن لم ننجح في صناعة برامج لتلاوة القرآن

محببة للأطفال ميسّرة قريبة منهم.

«لكننا حتى الآن لم نبتكر وسيلة مثلى لتلاوة القرآن الكريم للأطفال من خلال الشاشة الصغيرة والميكروفون.. لقد تقدمنا كثيراً في مجال التلاوة للكبار بالقراءات السبع، والمصحف المرتل وغير ذلك من أساليب التلاوة، واستطعنا من خلال نقل التلاوة من المساجد لكبار القارئين في الفجر، وفي المناسبات الدينية، أن نشد إلينا الآذان والقلوب، ولكن واحداً من القارئين أو الإذاعيين لم يجد أو لم يعثر على طريقة نجتذب بها الأبناء لسماع التلاوة، وبخاصة في أعمارهم الصغيرة.. ولعل هذه تكون دعوة للقارئين والإذاعيين لكي يجدوا سبيلاً لتقديم تلاوة القرآن الكريم للأطفال.. خاصة وهم يجرون مسابقات في حفظ الذكر الحكيم بينهم. ولكم يهزنا ـ كباراً وصغاراً ـ ذلك المنظر الرائع الذي نراه بين حين وآخر، عندما نستمع إلى أطفال في سن الخامسة والسادسة يحفظون قصار السور، بل لقد عرفنا من هم في سن التاسعة والعاشرة وقد حفظوا كل آيات القرآن الكريم.. وهذا شيء رائع، ولكنه يحتاج منا إلى بعض التفاسير، تكمل هذا الجهد الذي يثاب عليه الابن وأهله.. ونشعر أن هناك قصوراً في تقديم تفسير للقرآن يتفق مع أعمار الأطفال، وهناك محاولة أصدرتها دار المعارف بمصر منذ سنوات، إلا أنها في ثلاثين جزءاً، وقد تصلح للشباب، ويقيناً لا يمكن للأطفال قراءتها.. وما يقال عن القرآن الكريم، يمكن أن ينطبق على الأحاديث الشريفة، وهي لغوياً أيسر، ومن الممكن تقديم قصص مستوحاة من الآيات والأحاديث يسهل فهمها، خاصة ولدينا الكثير من حكايات ترضي الأبناء من كل الأعمار وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف، ولقيت هذه القصص اهتماماً بالغاً من جانب القراء الناشئين، وكما أعددنا بعضاً منها في صورة برامج تمثيلية قدّمت من خلال الإذاعة»[1].

---

(١) الإعلام الإسلامي وزرع القيم في النفوس ـ الأستاذ عبد التواب يوسف ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

عندما نتحدث عن البرامج الإعلامية يجب أن نضع في اعتبارنا قضية مهمة وهي أن الأسلوب الذي تقدم به البرامج الموجهة للأطفال يحتاج إلى عناية كبيرة وإلى روح عصرية، وإلى إخراج يرسخ هذه القيم في نفوس الأطفال ويجعلها مقبولة لديهم. ولا شك أننا في الوقت الذي نطالب فيه الإعلام بهذه القضية نريد أن نركز على أن الوسيلة التي يجب أن نتبعها لا بد أن تكون وسيلة حديثة وعصرية: «تواكب الحياة كما أننا لا بد ألا نغرس في نفوس الأبناء التواكل بدلاً من الاتكال على الله، وألا ندفع بهم من خلال الحديث عن العقاب والنار إلى الخوف والرعب بدلاً من أن نشعرهم بالأمان والاطمئنان إلى رحمة الله بعباده.. وألا نزجّ بهم إلى «التعصب» بدلاً من التسامح. كما أن البعض بما يقدمه يجعل الصغير متواكلاً معتمداً كل الاعتماد على أن الله سيحقق له كل شيء دون أن يبذل الصغير من جانبه أي جهد، كما أن سن الأبناء قد تدفعهم إلى فهم قشور الدين والتعصب للمظهر دون الجوهر.. ولا نرغب في أن يسجن أبناؤنا أنفسهم في الماضي، ويعيشوا في التاريخ فحسب، بل لا بد أن الجميع يدركون أن الدين وراء الحضارة، فكلنا نؤمن بأنه دين للحياة الدنيا والآخرة، فلا تواكل ولا تعصب ولا رهبانية ولا تخويف، نعيش ديننا ودنيانا، بمعنى أننا نستطيع أن ندرك عظمة الخالق من قراءة ودراسة موضوع في العلوم، فالدين يجب ألا يقتصر على حصة في المدرسة أو برنامج ما في الإذاعة، بل إننا ندرك أن قدرته سبحانه وتعالى فوق كل قدرة حين نتعرف إلى الخلية الحية، أو إلى الذرة. ولا نملك إلا أن نزداد إيماناً به حين نتطلع إلى الفضاء وإلى الكواكب والنجوم.. وفي قراءتنا ودراستنا وسماعنا للتاريخ يجب التركيز على الحضارة الإسلامية، وكيف كان الدين وراء الازدهار العربي والتقدم العربي.. إن الدين يمكن أن يكون مدخلاً رائعاً لكثير من ألوان الثقافة والمعرفة، كما يمكن تضمينه خلال كثير من البرامج والمواد الإذاعية، وبودّي أن نقرّب لأبنائنا كتاب الله، القرآن الكريم، لغة وفهماً.. إن الله حين أراد أن يهدي البشر بعث إليهم بهذا «الكتاب» الذي يصلح من الألسنة المعوجّة، بل والقلوب والنفوس المعوجّة أيضاً.. وقد درجنا على تحفيظ الأبناء

بعض قصار السور وعلى اختيار بعض الآيات الكريمة لشرحها لهم ليتنا نختار لهم القصص التي يمتلىء بها الكتاب المبين.. ويجب أن نفتش عن أنسب سبيل لكي نفتح القلوب لقراءة القرآن كله، وللاستماع إليه خلال أجهزة الإذاعة والتلفزيون، مع مراعاة الثروة اللغوية لهم وسنين العمر التي عاشوها، كما أن الأحاديث الشريفة إذا شرحت سوف تلقى من الأبناء كل حب وإقبال»[1].

وبطبيعة الحال، كلما سرنا مع أطفالنا على هذا النحو، وكلما حرصنا على أن نربطهم بالقيم والمبادىء والأخلاق الإسلامية بطريقة سهلة وميسّرة، فإن المسألة لا بد أن تبدأ منذ نعومة أظفارهم من مراحل الطفولة الأولى.

«إن رحلتنا مع الإيمان منذ الطفولة تجعلنا ننادي بضرورة تقديم مفهوم الألوهية للأطفال على أنه حب، ورحمة.. يجب أن نبعد ما بين الأبناء وما بين الخوف والرهبة من الله.. وأن كل كبير ـ كالأب والأم ـ يمثل بالنسبة لهم سلطة إرهاب ويتسبب في إحباطات لا نهاية لها. ومن هنا، فإن التناول لمفهوم الألوهية والحديث عنها يجب أن يكون بفهم وعمق وحب وود، والإجابات على الأسئلة تكون في حدود ولا تفتح الأبواب لألف سؤال جديد.. ولعل حديثاً واحداً يقربهم لمفاهيم الدين والإيمان ويفتح مغاليق القلوب أفيد بمراحل من دراسات معقدة، ولا تترك في ذهن متلقيها شيئاً، ولا ترسب في نفسه ذرة من إيمان.. وفي شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة مما يشد الصغار، وما يبهر الكبار، وليتنا نقدم لهم هذه الشخصيات الرائعة في ثوب يجعلهم يجرون وراء معرفتها معرفة حقيقية، وأيضاً حياة الخلفاء والحروب الإسلامية والبطولات.. بشرط أن نربط كل ذلك بالواقع المعاصر فلا يبقى في إطار التاريخ، وفي إطار (ليس في الإمكان أبدع مما كان).

---

(١) الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال ـ الأستاذ عبد التواب يوسف ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

إن جهودنا في موضوع الدين كبيرة ولكنه أمر يتجاوز في أهميته كل أمور الحياة وموضوع من أخطر موضوعات الدنيا، وإن ما نجنيه منه إذا نجحنا فيه فسوف يكون أروع ثمار التربية، فإنه أمر يتصل بالقيم والسلوك، ويتصل بالتطور والتغيير، ويتصل بالمجتمع والعدالة الاجتماعية، ويتصل أخيراً بصلة الإنسان بربه، وهي صلة لا بد أن تعمر بالإيمان، بدلاً من أن ينفصل وينفصم عنها وتصيبه أمراض العصر النفسية من «غربة» و«تمزق» و«توحش» و«غضب» وغير ذلك من أوبئة وافدة، ناجمة عن بُعد مجتمعاتهم عن الدين والإيمان.. إن أبناءنا بخير، ما داموا يعرفون ربهم، ويعيشون على صلة به سبحانه وتعالى «ما داموا يعرفون تعاليمه، وفروضه تجاه مجتمعهم، وما داموا يعرفون واجبهم نحوه جل وعلا إزاء عطائه الكبير.. ليتنا نعيد النظر في كتبنا في هذا المجال، ليتنا كمجتمع نبذل جهداً أكبر لدعم القيم الدينية في النفس، ليتنا كأسرة تغرس بذور الإيمان في الأبناء بكل الأساليب والصور، ليتنا كأجهزة إعلام نعرف الطريق الصحيح إلى القلوب المؤمنة والعقول الواعية، نرسّخ فيها قيمنا الدينية، لكي يعمر ما بين الإنسان وربه، والإنسان ومجتمعه، والإنسان ونفسه»[1].

وفي كل هذا الذي نقوم به يجب أن نحرص على أن يعيش الأطفال طفولتهم وأن لا نحملهم فوق طاقتهم، وأن لا نراعي في كل البرامج التي نقدمها لهم أن تتفق مع مداركهم ومع قدراتهم وتسليهم وتثقفهم في وقت واحد دون أي تشنجات ودون أي تصرفات تؤثر أو تقلق طفولتهم، لأن المهم هنا أن يتقبلوا هذه المسائل ويعشقوها ويعيشوا طفولتهم فيها، لأننا إذا تشنجنا في هذا الموضوع ودفعنا بالأطفال خارج نطاق طفولتهم، فإننا نفسد عليهم حياتهم وقد نفسد عليهم حاضرهم ومستقبلهم.

كما يجب أيضاً أن لا نصور لهم الحياة بغير صورتها الحقيقية وكأنها حياة

---

(١) الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال ـ الأستاذ عبد التواب يوسف ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

خالية من كل أزمات ومشكلات، بل لا بد أن يفهموا الأمور بطبيعتها بدون مبالغة أو تهويل. والحقيقة هنا، تأتي القضية المهمة وهي النظرة المستقبلية إلى قضايا الأطفال وبرامج الأطفال وأهمية أن يكون هناك تعاون دائم بين الإعلاميين والتربويين لبلوغ هذه الأهداف التي نتحدث عنها في مجال ثقافة الأطفال وحتى توضع الخطط والبرامج المناسبة لهذه المرحلة. وكما ذكرت من المهم أن يعيش الأطفال طفولتهم وأن تنساب البرامج بصورة طبيعية وعادية.

وهنا تأتي النقطة الأخرى المهمة وهي ألا نحول الأطفال إلى متلقّين سلبيين بل لا بد أن نأخذ منهم ونعطيهم ونتحسس حاجاتهم ورغباتهم، حتى تكون البرامج أكثر فعالية بالنسبة لهم.

ولا شك أن تدني مستوى البرامج الوطنية في البلاد العربية والإسلامية وضعفها وضآلة الإنتاج، كل ذلك يؤدي إلى سيادة الإنتاج الفني للدول الأجنبية ورواجه وإقبال الناس عليها وخاصة الأطفال والشباب: «كما تساهم أوضاع العالم العربي والإسلامي من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إضعاف الإعلام الإسلامي وإتاحة فرص التفوق للدعاية المضادة»[1].

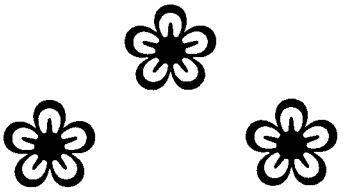

(١) الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين ـ أ. د. علي عجوة ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

الإعلام.. والأمن

وهل ثمة علاقة بين الإعلام والأمن..؟؟

لكي نجيب لا بد لنا أولاً أن نعرف شيئاً عن طبيعة «الأمن» الذي نقصده وشيئاً آخر عن «الإعلام» أو رسالته..

والأمن الذي نقصده هو الأمن بمفهوم الشرطة.. أي الأمن الذي تقوم الشرطة بحمايته. ومعنى هذا هو المعنى المباشر لكلمة «الأمن»، فإن ثمة بعض الجوانب التي قد تغيب عن البعض عند الحديث عن الأمن بهذا المفهوم الذي تختص به الشرطة حين تعمل لكشف غموض جريمة وقعت، أو لمنع وقوع جريمة تدبر، أو حتى لتنظيم المرور في الشوارع المزدحمة. إن هذه عمليات مباشرة تدخل في صميم اختصاص مهنة معيّنة يتولاها رجال مدرّبون عليها.. وهذه هي أبسط معاني الأمن بمفهومه الشرطي. ولكن هذا الأمن وبهذا المفهوم ذاته له جوانب أخرى عديدة.. ولعلها أن تكون أعون على تحقيقه من عمليات الشرطة وإجراءاتها لمنع الجريمة أو كشفها.. بل نحن نكاد نقول بإيمان وثقة أنه إذا اقتصر العمل لحماية الأمن على هذه الإجراءات الشرطية أو البوليسية.. فإن هذا يعدّ انتكاساً بعملية الحفاظ على الأمن إلى عمل بدائي لا يغني كثيراً عن الأزمات أو الملمّات الوطنية الكبرى.

ذلك بأن الأمن في المجتمع، أي مجتمع، كلي متكامل إذا أفلت منه أحد

أطرافه، فإن العملية الأمنية بأسرها تختلّ.. وتفقد فعاليتها وكفاءتها.. ونضرب لذلك بعض الأمثلة:

هب أن مجتمعاً ما تفشى فيها الفقر المدقع في جانب والغنى الفاحش في جانب آخر.. فأية قوة شرطية تستطيع أن تضمن منع العدوان على الأموال والأنفس إذا ما تحوّل الجوع إلى مراجل تغلي بالتذمر والسخط والحقد الأعمى..؟؟ حينئذٍ، فإن الأمن لا يتحقق بكفاءة إلا إذا شعر الفقير بقدر معقول من التكافل الاجتماعي.. وبأن السلطة في المجتمع لا تسقطه.. ولا تبخسه.. ولا تظلمه.. أي أن هذا الجانب من الأمن لا تختص به الشرطة وحدها.. وإنما المجتمع بأسره الذي يتعيّن على غنيّه أن يعطف على فقيره.. وعلى الدولة أن تتيح فيه أمام الجميع المساواة في الفرصة.. وفي حق العمل.. وفي التربية والتدريب على المهارات.. وفي التعليم.

وهب أن مجتمعاً طغت فيه قوانين للتفرقة العنصرية.. يتميّز بها جنسٌ على جنس.. أو عِرقٌ على عِرقٍ.. أو لونٌ على لون.. أو دِينٌ على دِينٍ.. فكيف تستطيع الشرطة وحدها أن تضمن حماية الأمن في هذا المجتمع؟؟

إن عمليات الاعتقال، أو القبض، أو التوقيف.. أو الحكم بالحبس بناءً على قوانين هي في الأصل جائرة ولا تراعي الحقوق الطبيعية للإنسان من حيث هو إنسان، لا يمكن أن تؤدّي إلى حماية الأمن بالقدر المنشود. وإنما يحتاج الأمر، في هذه الحالة، إلى تعديل القوانين وإلغاء التفرقة العنصرية، وإشعار كل مواطن بأن له في المجتمع حقوق أخيه المواطن نفسها، وعليه ما عليه من واجبات، وبأن السلطة القائمة تراعي ذلك بحيطة وحرص على العدل، ولا تحاول بتاتاً أن تفرض بالقوة المجردة الغاشمة نقيضه وعكسه.

وقياساً على ذلك ما يفعله الاستعمار في بلد نُكب به. أفتكفي قوة «الشرطة» أو الجيش لفرض الاحتلال على بلد؟؟ لو كان الأمر كذلك لدام الاستعمار، ولما انقضى عصره. وإنما وقفت جيوش الاستعمار كلها عاجزة عن «فرض» الأمن،

لأن الأمن، في هذه الحالة، يصبح قرين «الحرية». وطالما أن الشعب المحتل لم يحصل على حريته، فإن تحقيق الأمن فيه يغدو سراباً لا تطوله أية قوة.

والذي نريد أن نستخلصه من هذه الأمثلة، وغيرها كثير، أن «الأمن» في معناه الصحيح، مفهوم سياسي عام، وليس مجرد مفهوم بوليسي يقوم على القمع، ومنع الجريمة أو كشف غموضها. وبمعناه السياسي هذا، فإنه يصبح «حالة اجتماعية» عامة إن تحققت تحقق الأمن في ظلها، وبالتبعية، وبالقدر المأمول فيه في مجتمع بشري لا يخلو من الصراعات الناشئة من الأحقاد والمنافسة، ومن حالات العته والجنون الذي يؤدّي إلى جرائم يصعب اقتفاء أثر الخطأ الاجتماعي فيها. وعند هذه النقطة بالذات يلتحم مفهوم «الأمن» بمهمة «الإعلام»، أو رسالته.

إذاً ما هي مهمة الإعلام؟؟

لا نريد أن ندخل في تفصيلات الإجابة على هذا السؤال، فهو موضوع يتّسع لبحوث كثيرة شائقة من اجتهادات وخلافات في الرأي كثيرة ومتشعبة.

والذي يعنينا هنا أن نؤكد أن للإعلام، في كل مجتمع، رسالة شاملة تنحصر تحت ثلاثة عناوين رئيسية هي: الإعلام، والإخبار أو الإنباء والتثقيف، والترفيه، وتحت هذه العناوين الثلاثة تندرج كل اهتمامات الإنسان والمجتمع، أو الإنسان في المجتمع، أو المجتمع باعتباره خلية إنسانية متكررة ونامية.

فرسالة أجهزة الإعلام، من صحافة وإذاعة تلفزيونية، تعمل على تحقيق الرابطة الاجتماعية، والقومية، والإنسانية، من خلال هذه المهام الثلاث: الإعلام بالحقائق والأحداث والأخبار. فيتساوى بذلك كل أفراد المجتمع أو أمة العالم من حيث الخلفية الخبرية، بحيث إن كل فرد تتاح له الفرصة نفسها للعلم بالحدث، فتنشأ بذلك رابطة «خيرية» - إن جاز هذا التعبير - بين كل أفراد المجتمع أو الأمة أو العالم. وهذا ليس بالأمر الهيّن الأثر في تشكيل الرابطة الاجتماعية أو القومية أو الإنسانية.

والشيء نفسه يقال، بل وأكثر منه، في مهمة التثقيف والترفيه. فمن خلال هذه المهمة يصاغ ضمير المجتمع على غرار واحد تقريباً، مما يكون له أبلغ الأثر في تحقيق التعاطف والتفاهم بين أبناء هذا المجتمع أيّما كان يكون ضيقاً أو اتساع رقعة.. ولك أن تتخيّل مدى التعاطف الوجداني أو التشابه الشعوري في مجتمع يضحك للمشهد نفسه من التمثيلية أو المسرحية نفسها أو ينفر من مشهد آخر ويشمئز منه.. ولك أن تتخيّل أيضاً مدى ما بين أفراد هذا المجتمع من تلاحم يفزعون لنبأ أو يهلّلون لآخر.

والذين يتابعون قياس الرأي العام العربي قد لاحظوا، إبّان الخلافات السياسية الجامحة بين الدول العربية، مدى ما كان يشعر به العرب في كل مكان من سعادة أو تعاسة بفوز أو انهزام فريق كرة قدم عربي صعد إلى المنافسة على فريق غير عربي. ويفهم من هذا أن تحت سطح الخلافات السياسية أمة عربية، إن لم تكن موحدة المشاعر تماماً ومترابطة، فهي مرشحة لذلك لو أحسن رعاية الوجدان العربي العام وتم النأي به عن الخلافات السياسية وتطهيره بثقافة واحدة تصنع ضميراً قومياً واحداً.

على أن هذا الكلام لا يغفل حقيقة التعدد الإعلامي في البلد الواحد، حيث هناك تكون حرية إعلامية تأييداً أو معارضة. إذ الواقع أن الخلافات السياسية كاختلافات المنحى الثقافي لا تصدر إلا عن ضمير قومي أو وطني واحد، وأن التعدد في هذه الحالة لا يؤدي إلى التنافر الاجتماعي، اللهم إلا إذا استحال الأمر إلى طائفية محكومة بعوامل خارجية.. وإنما إلى إثراء الرأي العام وتقويمه مما يجعله أصلب وأنضج في مجال التربية الاجتماعية.. ويقال إن كثرة الآراء تؤدي إلى الرأي الأحسن.. أي إن التعدد يؤدي إلى التوحّد ولكن على أساس أقوام وأفضل أو أصلب.

وعلاقة هذه الرسالة الإعلامية بالأمن، بمعناه السياسي الشامل الذي أوضحناه، لا تخفى بعد هذا على أحد.. فحين نقول إن الإعلام يؤدّي إلى الترابط والتفاهم الاجتماعيين، فهذا يساوي تماماً قولنا إنه يؤدي إلى حماية الأمن ودعمه.. أفلم

نقل إن الأمن ليس مفهوماً شرطياً وإنما هو مفهوم سياسي شامل يقوم على ما بين أفراد المجتمع من تعاطف.. وتفاهم ومودة؟؟

على أن الأمر لا يخلو من بعض التناقضات التي يبدو بها الإعلام أحياناً وكأنه يؤثر سلباً في عملية حماية الأمن أو حتى كأنه يهدمه ولا يبنيه.

خذ مثلاً النشر عن إحدى الجرائم.. أو إذاعتها بتفصيلات موسّعة تكشف عن تخطيط محكم لارتكابها، دون أن يكون الجاني قد كشف وعرف ولقي جزاء ما اقترفت يداه.. فهل يعتبر هذا النشر الموسّع والمفصّل يداً للأمن أو يداً عليه؟

الخبراء هنا ينقسمون إلى فريقين: فريق يرى أن النشر بهذه الطريقة المفصلة في جانب والقاصرة في الجانب الآخر ـ جانب الكشف عن الجاني ـ يغري بتكرار الجريمة.. ويزوّد المنحرفين بأساليب إجرامية ربما لا تكون لديهم فكرة عنها.. وقد يكون فيه مفسدة للنشء الذي تجذبه التفصيلات بما فيها من غموض وشجاعة وبطولة.. وفريق آخر يرى أن النشر بهذه الصورة حتى مع ما فيها من قصور في الجانب الكاشف أو الرادع يتضمّن توعية عامة الناس بالأساليب الإجرامية المبتكرة فيحتاطوا ويحذروا.. وفي هذا قدر لا غنى عنه في مقاومة الجريمة وإحباطها.. ولا ريب أن هناك قدراً من الفائدة في نشر تفاصيل جريمة قام بها مثلاً بائع اللبن الذي يمر بالبيوت في الصباح أو المساء حين انتهز ذهاب ربة البيت الى المطبخ لإحضار الوعاء الذي ستأخذ فيه اللبن، فهجم عليها وخنقها وسرق ما خف حمله وغلا ثمنه من المنزل وأغلق باب البيت ثم هرب.. إن كل ربات البيوت في هذه الحالة سوف يتّعظن.. ويحتطن بغلق الباب في وجه بائع اللبن ريثما يحضرن الوعاء من المطبخ.

وهذه القضية نعني قضية التأثير السلبي لأجهزة الإعلام على الأمن تثار بشكل واحد بالنسبة للأفلام السينمائية التي تتناول الجرائم بصورة مبالغ فيها.. فهل تجاز هذه الأفلام في دور السينما؟.. وإذا أُجيزت باعتبار أن جمهور السينما محدود.. فهل يجاز عرضها في أجهزة التلفزيون التي يشاهدها الملايين؟؟.. ومع

أن اختراع الفيديو جعل هذا السؤال كالنافلة التي لا قيمة لها.. إلا أن اعتقادنا أن البون ما زال شاسعاً بين ما يجب أن يسمح بعرضه في التلفاز.. وما يمكن أن يعرضه الفيديو دون رقابة.. إن أفلام الفيديو يمكن فرض رقابة عليها أيضاً.. ولكن الفيديو جهاز منتشر.. وهو يتلقى كل ما يوضع فيه من أفلام حتى لو جاءت متلصصة بعيداً عن أعين الرقابة.. والأهم من هذا أن العرض من خلال التلفاز حتى في الدول التي تتمتّع بحرية إعلامية ولا توجد بها رقابة، يعني موافقة المجتمع الضمنية على القيم المبثوثة.. بيد أن العرض من خلال الفيديو عملية خاصة ومحدودة الأثر وتخضع أساساً لتربية الفرد وضميره وثقافته أو لرقابة رب الأسرة أو من هو في محله.. ولهذا يمكن أن يقال إن للتلفاز حتى في الدول التي لا رقابة فيها على الإعلام وضعاً خاصاً يدعو إلى الحذر من التصادم مع قيم المجتمع العامة، وعلى الذين يحرصون على ممارسة حريات فيما وراء هذه القيم أن يفعلوا ذلك بأسلوب لا يضعهم علناً في موضع التصادم مع هذه القيم ويترك أمر هؤلاء في النهاية لتأثير القيم الاجتماعية عليهم، ولعوامل التربية والتثقيف والتهذيب، وهي عوامل لا تكف أجهزة الإعلام نفسها عن تزكيتها وبثها.

وإزاء الآراء المختلفة للفريقين اللذين أشرنا إليهما آنفاً نعتقد أن العالم النامي يتعيّن عليه أن يأخذ برأي ثابت هو الرأي الأحوط، وإن لم يكن بالضرورة هو الرأي الأصوب. ذلك بأن الحقيقة المؤكدة هي أن الجريمة قائمة في كل المجتمعات ولا يوجد ولن يوجد أبداً مجتمع بريء منها تماماً.. وإنما الكلام عن النسبة وعن الدوافع منذ أن لم يكن على ظهر الأرض سوى قابيل وهابيل.. وهما أخوان.. وقعت الجريمة.. ولم تكن هناك شرطة لتمنع الجريمة ولا يمكن لأكفأ شرطة في العالم أن تمنع الآن مثلها. فإذا وجدت دوافع الجريمة.. ووجد الشخص المختل العقل الذي لا يفهم أن الرصاصة أو السكين ليست هي الحل الناجع (؟؟؟؟) الإنساني والحضاري لمشكلته، فإن الجريمة سوف تقع حتماً.. ومن ذا الذي يستطيع أن يمنع رصاصة من أن تنطلق إذا قرر صاحبها أن يطلقها

ليلاً أو بعيداً عن العيون، أو حتى أمام العيون وفي حشد من الناس طالما أنه على استعداد لدفع ثمن جريمته..؟

وإذا قلنا إن المسألة مسألة نسبة ودافع، فلا بد أن نضيف: وحالة نفسية أيضاً.. شرط أن يفهم من هذا التعبير جملة العوامل التي تؤثر في فكر الإنسان وتجعله قابلاً لارتكاب الجريمة.. وللإعلام دور مهم في تشكيل هذه الحالة أو منعها، ومن هنا الحديث عن مسؤوليته.

ونعود لنسأل: هل نمنع النشر المفصّل ونحن نعني هنا إلى جانب النشر الإذاعة المسموعة والمرئية والتصوير السينمائي، أم نسمح به وفقاً لما يقول به خبراء الفريقين المشار إليهما..؟

نقول إن الأحوط في عالم لم تتوافر له بعد عوامل النضج الذي يسمح له بتبصّر العواقب واستخلاص العبر مما هو معروض عليه، أن يكون التفصيل مقروناً بالعبرة الواضحة. فلا تصور الجريمة على أن صاحبها من الأذكياء الدهاة الذين يمكن أن يفلتوا والذين أُفلتوا فعلاً..

هذه واحدة..

والثانية، إن هذا الجانب الذي يمكن أن يرد عليه السلب أي أن يكون له تأثير سلبي على الأمن يمكن معادلته.. بل التفوق عليه، من خلال عناصر إعلامية أخرى تنفر من الجريمة وتبصر بعواقبها، فيكون الإعلام في جملته داعية للسلام والأمن منفراً من الجريمة والفساد.

على أن هناك تحفظاً يرد على هذا الكلام.. فإذا أمكن في فيلم سينمائي تعمّد الموازنة أو المقارنة بين تفصيلات الجريمة وعنصر الردع في النهاية، فكيف يمكن ذلك في نشر تفصيلات جريمة في صحيفة لم يكتشف بعد فاعلها؟؟ هل تنشر أيضاً؟؟

وفي العالم الخارجي ينشرون بتفصيل من قبيل تبشيع الجريمة والتحذير من

أساليبها، وهو تحذير ينبثق تلقائياً من مجرد الإعلام بالجريمة.. وهذه فلسفة تقوم على أساس أن المجرم لا يحتاج من يعلمه كيفية ارتكاب جريمته إذا ما احتشدت في داخله دوافعها.. فمن علّم قابيل قتل هابيل.. ومن ثم، فإن المستفيد الحقيقي من نشر التفاصيل هو جمهور الضحايا المحتملين لأية جريمة أخرى مشابهة. بهذا، يشارك المجتمع ككل في مقاومة الجريمة، كما أن الإعلام لا يمكن حرمانه من فرصة تبشيع الجريمة.. وهو تبشيع ينبع من السرد التفصيلي لما فيه من وحشية وقسوة وبربرية.

مرة أخرى نقول إننا نأخذ بالأحوط.. وإن لم يكن الأحوط هو الأصوب في كل الحالات.. وأخذاً بالأحوط، فإننا نقترح أن يحرص الإعلام في العالم الثالث على الاقتصاد في التفاصيل مع التركيز على عنصر التبشيع في الجريمة التي لم يكتشف فاعلها بعد.. وعلى عنصر الردع والتبشيع معاً في الجريمة التي ضبط فاعلها..

فإذا أضفنا إلى هذا أن المحذور الإعلامي المتّصل بالجريمة تقابله ويجب أن تتفوق عليه بكثير.. رسالة إعلامية شاملة تقوم على التثقيف والتوعية وتربية النفس وتهذيبها، فإننا لا بد أن نستخلص أن الإعلام جهاز هامّ جداً، بل هو أهم الأجهزة جميعاً في دعم الأمن ونشر التوعية داخل كل مجتمع على حدة في العالم كله.

إن الأمن كما قلنا مفهوم سياسي شامل وليس مجرد إجراءات بوليسية.. ولقد قيل لعمر رضي الله عنه: عدلت فأمنت فنمت يا عمر.. فلولا العدل ما تحقق الأمن.. ومغزى هذه العبارة أن الإجراء البوليسي يأتي أخيراً.. وهو غالباً ما يأتي متأخراً.

وإنما المظلة السياسية الواعية هي التي تحقق الأمن في المجتمع، وهي مظلة ينشرها العمل الواعي من أجل التنمية والعدل وحل الصراعات الاجتماعية بأسلوب سلمي وتربية المجتمع وإعلاء القيم الدينية.

وللإعلام الواعي في هذا كله أنبل الأدوار.

التلفزيون العالمي..
هل يؤدّي إلى نمو الجريمة
في العالم العربي والإسلامي؟

إن البث التلفزيوني العالمي أصبح اليوم حقيقة ملموسة، بعد أن كان توقعاً وتخميناً.. ودخلنا إلى عصر الاتصال الذي حوّل العالم إلى قرية وربط بينها بصورة مذهلة.. بل وأخذ يتطوّر يوماً بعد يوم في اتجاه البث التلفزيوني المباشر الذي يصل إلى كل بيت.. وفي كل مكان من العالم وبأبسط وأرخص التكاليف الممكنة.. فثورة الاتصال مستمرة وبالتالي، فإن وسائل الإعلام أصبحت مؤثرة بصورة خطيرة، وخاصة في النظام الاجتماعي العالمي.. ومن المؤسف أن أكبر القوى الإعلامية المؤثرة، هي قوة الإعلام الأميركي من ناحية قوة إرساله، وسعة بثه.. وتنوعه.. وإغراءاته.. وأصبح هو والإعلام الأوروبي النموذج المسيطر في العالم أجمع.

وكان من واجبنا أن ندرس ونتنبّه إلى أبعاد ومخاطر هذا البث القادم، والذي أخذت دول العالم تتحسّب له، وحتى إن أوروبا قد عقدت عدة مؤتمرات درست فيها أثر الأقمار التلفزيونية على أجيالها، وعلى الرغم من اتجاه أوروبا إلى التقارب الاقتصادي والسياسي، إلا أن كل دولة تريد أن تحافظ على شخصيتها الثقافية وتبقى ذاتيتها وتحرص على تمييزها الدول الأوروبية مثلما تخشى وتتخوّف من البث القادم بواسطة تلفزيون بلا حدود.

هكذا فعلت اليابان وأخذت تدرس أبعاد هذا الغزو على ثقافتها وقيمها وتفكير أبنائها.

وهكذا يجب أن تعمل الدول النامية عموماً وخاصة نحن في أمتنا العربية والإسلامية، لأن التأثير بالنسبة لنا أعظم حيث سيكون في اتجاه واحد.. فسوف نستقبل ونتأثر دون أن يكون لدينا أي خيار أو قدرة على التبادل أو التأثير المزدوج. والفجوة بيننا وبينهم كبيرة وعميقة وقيمنا متباينة في كثير من الأحيان.. وتربيتنا مختلفة، ومن هنا تأتي خطورة البث التلفزيوني القادم.. والذي لم ندرس بعد تأثيراته ومخاطره أو طرق التصدي له، والاستفادة مما قد يكون فيه من فوائد وما يشتمل عليه من إيجابيات، خاصة وأنه يهبط علينا مثل القضاء.

ولقد أصبح واضحاً تأثير وأهمية وسائل الإعلام الغربي على الدول النامية عموماً، فشكّل نوعاً من أنواع الاستعمار الثقافي.. ولقد أسهم الإعلام في الدول العربية والإسلامية والدول النامية عموماً ـ كما أنه سيسهم مستقبلاً ـ في صرف الناس إلى الإعلام الغربي، لأنه لا يقدم البديل المناسب، مما يشجع الناشئة على الإقبال على وسائل الإعلام الغربية أكثر فأكثر، خصوصاً مع نموّ الرغبة لدى الناس لمشاهدة البرامج التلفزيونية، حتى لا يكاد يخلو بيت في عالمنا العربي والإسلامي، بل وفي كثير من الدول النامية من جهاز تلفزيون أو أكثر: «ونحن إذا ألقينا نظرة سريعة على ما تقدمه وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما، نجد أن غالبيته تهدف إلى ترفيه الجمهور وتسليته. فإذا نظرنا مثلاً إلى الصحف والمجلات، نجد أنها تقدم مادة ترفيهية مسلية إلى جانب الأخبار والمقالات والتحليلات الجادة، حتى الإخراج الصحفي واستعمال الألوان والصور والكاريكاتير، هدفها جعل الأخبار والمعلومات جذابة الشكل وممتعة وسهلة، وفي أحيان كثيرة تدرج الأخبار الجدية إلى جانب الأخبار الخفيفة المسلية للتشجيع على الإقبال عليها.

وحتى أصبحت مشاهدة التلفزيون ممارسة يومية تشغل فراغ الصغار والشباب والكبار على حد سواء، ولعل الدافع لذلك هو رغبة الناس في الترويح والتسلية ونسيان مشاغل الحياة اليومية»[1].

---

(١) الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب ـ د. منير ناصر ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

الإدمان التلفزيوني

وهكذا، نحسّ بأن البث التلفزيوني خاصة دفع الناس إلى حالة من الإدمان كما يسميه الدكتور عدنان الدوري في بحثه عن العنف والإعلام، لأن الناس أصبحوا لا يطيقون الابتعاد عن هذا الجهاز أو مجرّد التفكير بالاستغناء عنه، ولو لفترة قصيرة، حتى إن مجرّد عطل فني مؤقت يصيب الجهاز أو أي اضطراب في برامجه المعتادة، أو أي خلل طارىء يعوق مشاهدته أصبح يثير عاصفة من السخط والغضب، بل زوبعة من عدم الرضا والاحتجاج بين أفراد العائلة في غالبية البيوت. لقد صار هذا الجهاز الطارىء على الحياة جزءاً من الواقع حتى أفقد الناس القدرة الصائبة على كشف بعض سلبياته، رغم ما يتعرضون له بسببه منذ سنوات ليست قصيرة، فهم يخففون من الإحساس بوجود الضرر في مشاهدته وحجب رؤيتهم له. ولا شك أن تأثيره سيكون متبايناً تبعاً لطبيعة المجتمعات والأفراد، ولكن الاختلاف في طبيعة الحياة، وثقافة الناس، وطرق تربيتهم سيجعل التأثير صعب التقدير، فماذا سيفعل الشباب والأطفال، بل حتى الإنسان العادي أمام الأفلام الجنسية والخليعة، هذا الشباب الذي لم ير إمرأة عارية في حياته، ولم يشاهد عملية جنسية، كيف سيتصرّف أمام تلك الأفلام التي تبث بصورة منفرة في كثير من الأحيان وربما تبعث على الاحتقار أو تخلق لديه أنواعاً من العقد النفسية وربما الصدمات السيكولوجية التي قد تخلف عنده عقداً وبلايا أو تدفعه إلى ارتكاب خطايا.

دور الرقابة والمنع

ومن المؤكد أن كل إجراءات الحذر والمنع والرقابة لن تكون ذات جدوى، لأن البث التلفزيوني العالمي سيصبح مثل البث الإذاعي تماماً بسبب هذه القفزات التكنولوجية السريعة التي نعيشها اليوم، والتي تسعى إلى تحويل العالم كما يقولون إلى قرية تلفزيونية.. أضف إلى ذلك أن البث التلفزيوني ذو تأثير رهيب على الأطفال، فهو الوسيلة الأولى التي يتعرف عليها الطفل من وسائل الإعلام كما يقول الأستاذ أحمد ولد الطلبة.. وهي التي تكوّن لديه ذوقاً خاصاً وميولاً خاصة تزرع في ذهنه المثل والقيم الأولى خارجاً عن محيط أسرته: «والطفل بوجه عام عنصر إيجابي وليس وعاءً سلبياً يصب فيه التلفزيون برامجه، أو يقذف إليه بما يشاء من مادة تشكل مجمل معارفه، وربما من المفيد أن نؤكد هنا أن الأطفال لا يشكّلون نمطاً واحداً في استجابتهم للتلفزيون وقبول برامجه المختلفة، فقد يختار الطفل بعض ما يناسب اهتماماته أو ينسجم وحاجاته ورغباته ويصرف من الوقت في مشاهدة ما يلبّي بعض حاجاته وبواعثه، وعلى الرغم من أن تأثير التلفزيون يختلف باختلاف الأطفال أنفسهم، إلا أن هناك تأثيراً مشتركاً عاماً يخضع له الأطفال كمجموعة بشرية متجانسة ذات سمات متشابهة.

لقد أظهرت بعض الدراسات الميدانية والمختبرية كيف أن بعض اتجاهات وقيم الأطفال الاجتماعية يمكن أن تتشكّل من خلال المشاهدات التلفزيونية

المتكررة، كما قد يستثير المشهد التلفزيوني بعض الأطفال بشكل يفوق أبعاد المتعة العابرة أو التسلية المؤقتة، وقد يصبح التلفيزيون مصدراً لإثراء خبرات الطفل الحياتية فيما لو تحمّل المسؤولون عن تخطيط برامجه بعض المسؤولية»[1]. ولعل نقطة الانطلاق الأساسية هي أن نحسّ بأن هناك مخاطر ونبدأ بدراستها وبحث آثارها وسلبياتها وإيجابياتها، وهذا هو مفتاح القضية.

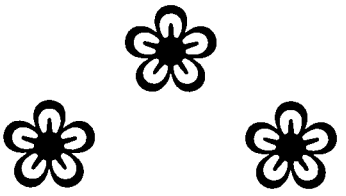

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

هل يؤثر التلفزيون العالمي في نمو الجريمة في العالم العربي؟

ونأتي الآن إلى موضوع البحث، وهو مدى تأثير التلفزيون عبر الأقمار الصناعية، أو التلفزيون العالمي في تنمية الجريمة في العالم العربي والإسلامي، وبالتالي في الدول النامية.

لقد عرفنا أن البث عبر الأقمار الصناعية أصبح حقيقة مجرّدة، وهو في نمو مستمر، وتوسع كبير.. ولقد أدركنا أن المشاهد في عالمنا مرتبط بالتلفزيون ولا غنى له عنه.. وهو يقبل عليه حتى الإدمان، ولقد اتضح لنا مدى تأثير التلفزيون في صياغة الأطفال، والتأثير عليهم.. وكذلك أثره على الناشئة.. فما مدى تأثير البرامج القادمة عبر الأقمار على نمو الجريمة في عالمنا العربي والإسلامي.

أثر التلفزيون عبر الأقمار على العالم العربي خاصة

ليست هناك حدود مرسومة ونهائية لتأثير وسائل الإعلام والاتصال في نمو الجريمة أو تراجعها في العالم العربي. فالعالم العربي ليس بلداً موحد الثقافة والعادات والتقاليد وأنماط الحياة.. وعلى الرغم من أن الإسلام يجمعه، واللغة توحده، إلا أن هناك أيضاً فروقات أساسية تجعل هذا التأثير يختلف من بلد إلى بلد.

هناك ـ طبعاً ـ صفات وملامح مشتركة تنطبق على كل العالم العربي، وقد تتسع حتى تشمل العالم الثالث بكامله، فهو عالم نامٍ ويعاني ـ دون شك ـ من كثير من أنواع التخلف بدرجات متفاوته عن اللحاق بركب الحضارة الحديثة ومرافقتها. «إنه عالم منفعل غير فاعل» دخلت الحياة الغربية إليه فأخذها بكل مظاهرها السطحية الحسنة والسيئة، دون أن يقتدي بنموها العلمي والتقني الذي يتحكّم بنا الغرب من خلاله.

إن تأثر هذا الإعلام لا يختلف من شعب إلى شعب فحسب، بل إنه يختلف من بيت إلى بيت، واستطراداً من فرد إلى فرد ولهذا، فإن التأثير يتباين تبعاً لطبيعة الأمة، والبيئة، والأسرة.

ولا شك في أن وسائل الإعلام بشكل عام تؤثّر في نمو الجريمة من خلال خطين متوازيين: الأول هو خط الإعلام السياسي: (الأخبار والتعليقات والتوجيه

السياسي الرسمي وما يتفرع عنه). والثاني، هو خط الإعلام الاجتماعي: (البرامج الثقافية والترفيهية والعلمية والاجتماعية).

فأما بالنسبة للخط الأول، فإن هناك قاعدة أساسية هي أن الثقة بين المواطن والدولة هي المقياس لمستوى التعاون بينهما، وإذا فقدت هذه الثقة أصبح المواطن على وجه العموم أداة سلبية، تتدرج في سلبيتها من الحياد واللامبالاة إلى الضلوع في الجريمة ومخالفة الأنظمة والقوانين، التزوير، الرشوة، التستر على الجرائم، وصولاً إلى الجريمة الموصوفة، حتى الخيانة العظمى.

ولا شك في أن البيت الذي يفتقد إلى الثقة بين الآباء والأمهات من جهة والأولاد من جهة أخرى، وبين الجميع بعضهم نحو بعض، يكون بيتاً عاجزاً عن إنشاء جيل صالح. والبيت الذي يعمه القلق والاضطراب ويفتقر فيه أفراد الأسرة إلى الأمان والطمأنينة والراحة.. هذا البيت يدفع أفراده إلى التشرد والضياع والبحث عن الراحة والسعادة في خارجه.

لأن الثقة والمحبة والاحترام هي القواعد التي تقوم عليها التربية السليمة والعلاقة الصحيحة، أكان ذلك على صعيد العائلة التي هي النواة في مؤسسة الوطن، أم على صعيد الوطن الذي هو المؤسسة الكبرى للعائلة. وويل ثم ويل لأمة أو دولة تشك في أبنائها أو يشكون فيها، وتخاف منهم ولا تخاف عليهم، كما أن قضية الصدقية مهمة جداً. فإذا فقدت وسائل الإعلام صدقيتها، كانت النتيجة سحب المواطن للثقة من القائمين عليها، وهذا أمر خطير بحد ذاته، والتحول نحو وسائل إعلام أخرى خارجية للتفتيش عن الصدقية، وهناك يقع في حبائل الإعلام الموجه، والبرامج المشوقة التي تشده إليها وتفعل فعلها فيه. لأنه لا يثق في صدقية إعلامه، أو حتى يشك في حياديته أو يؤمن بعجزه عن توفير الأخبار الصادقة، والبرامج الموضوعية والمسلية.

وإذا جمعنا هذين العاملين، فقدان الثقة بالإعلام الوطني، والانصراف إلى الإعلام الخارجي تكون النتائج خطيرة جداً، ليس فقط بالنسبة لنمو الجريمة، بل

كذلك بالنسبة لسلوكنا ومفاهيمنا، وقيمنا ومعتقداتنا وارتباطنا بثقافة الغرب وإعلامه، وربما معتقداته.

أما بالنسبة للخط الثاني، وهو الإعلام الاجتماعي والثقافي: (البرامج الثقافية والترفيهية والعلمية والاجتماعية)، فهو أيضاً ذو وجهين: الأول، البرامج التافهة أو الفارغة والمملة التي لا تستهوي المتلقي، والتي ينصرف عنها تلقائياً للتفتيش عما يرضيه في وسائل إعلام خارجية.

والثاني، هو البرامج التي يقبلها المتلقي ويتابعها وتكون غير صالحة كأداة توجيه سليم أو ترفيه، أو تأتي على شكل مواد إعلامية دعائية مملة ومنفرة وهذه تحتاج إلى وقفة طويلة، خصوصاً بالنسبة للتلفزيون الذي يهيّج حواسنا ومشاعرنا وعقولنا والقادم أعظم.. وفي كثير من الأحيان تؤدي هذه البرامج إلى آثار عكسية تماماً لأنها مملّة ولأنها مباشرة، ولأنها تفتقد الصدقية، وتغرق في النفاق أو التزييف، وتستهين بعقل المواطن ولا تراعي مشاعر الناس.

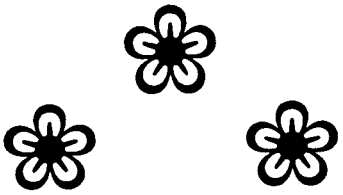

الإعلام ونمو الجريمة

سنتناول تأثير الإعلام في نمو الجريمة من خلال عرض أنواع التأثير الذي تتركه وسائل الإعلام في المتلقي والشرائح الاجتماعية التي يؤثر فيها هذا الإعلام، ومدى هذا التأثير بواسطة التكرار والتشويق والإثارة والقدوة.

فالإنسان مثلاً، يتعلّم ويحفظ بالتكرار، وقد أدرك المعلنون ذلك منذ زمن طويل، فكان التكرار هو أهم الوسائل الإعلانية المعتمدة، مهما تعددت أشكال الإعلان وتنوّعت.. ولكن عنصر التشويق مهم جداً.

تملأ تلفزيوناتنا التمثيليات والأفلام والمسلسلات الاجتماعية والبوليسية، وتكون عادة ذات مواضيع تتناول الحياة اليومية للناس في زوايا مختلفة، ومن أجل جعلها مشوّقة تملأ بحوادث مثيرة كالاحتيال والتزوير والإدمان والغدر والخيانة والنميمة والقتل.. وترسخ في ذهن المشاهد مجموعة مفاهيم أبسطها أن السيىء والمحتال والمزوِّر والمجرم هو الذكي، المتفتح الحيوي النشيط، الذي يحسن كل شيء، ويتقن كل عمل، ويستطيع كسب محبة الناس وجمعهم حوله، بينما الضحية هو إنسان ساذج أقرب إلى الغباء، يسهل خداعه والنيل منه، ويبدو ذلك حتى في برامج الأطفال حيث تتكرر هذه الصورة.

وهكذا، فإن تكرار هذا البرنامج يرسخ في أذهان أبنائنا فنوناً مختلفة من الجريمة: (احتيال، ابتزاز، نصب، تزوير، غدر، حتى القتل). وقد نشرت صحف

العالم عدة حوادث كان المجرمون فيها يطبّقون على ضحاياهم ما يشاهدونه في السينما والتلفزيون، وأكثرهم من الطلاب والمراهقين، وليسوا من أصحاب السوابق. وأغرب خبر من هذا النوع، نشر منذ وقت قريب، هو أن طفلاً في العاشرة من عمره اغتصب طفلتين إحداهما في الثامنة، والثانية في الرابعة بعد مشاهدة فيلم جنسي نسيه أبوه في الفيديو: (حدث ذلك في أميركا ونشرته الصحف العربية).

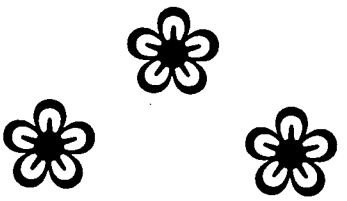

القدوة والمثل والعبرة

هل رأى أحدنا رجل أعمال محترماً، أو قائداً أو رجل علم وفكر وأدب في التلفزيون مثلاً، وهو يدخن سيجاراً أو سيجارة، أو يحمل بيده كأس خمر؟.. ثم هل أدركنا تأثير هذا على المشاهد العادي الذي سيربط رأسا بين المنصب الكبير والوجاهة والسيجارة والخمر وسيحاول الاقتداء بها.. كما أنه من المؤسف أن كثيراً من المسرحيات والأفلام تربط بين الضيق والضجر، وكذلك بين حالة الكآبة والحزن، وبين شرب الخمر والتدخين.. فمثلاً، إذا صادف إنسان كارثة، أو فشل، اتجه إلى البار وأخذ يشرب، أو أخذ يدخن، أو ذهب إلى نادٍ ليلي ورمى نفسه بين أحضان راقصة.. وهذا يرسخ في ذهن الأطفال والناشئة، أن الاتجاه إلى الخمر والتدخين هو الحل المناسب للمشاكل إذا أطبقت على الإنسان. وبالمقابل، فإن ظهور الناس في المساجد في حالة رثة، وكآبة، وحزن، وانكسار، وكأن التعساء، والفقراء، هم الذين يرتادون أماكن العبادة، وهكذا يربط الطفل بين الرجولة وارتياد أماكن الرقص، والنوادي الليلية، وهكذا يكون التأثير بواسطة الإعلام بالقدوة.. فبواسطة فقرة إعلامية معبرة تكون القدوة الجنسية.. أو القدوة السيئة.. وعن طريق عمليات التكرار ترسخ مختلف المفاهيم تبعاً لطبيعة المتلقي واستعداده وتربيته، وبيئته، وعقله، والبدائل المتوافرة لديه، ولكن التأثير واقع لا محالة.. قلّ أو زاد.. صغر أو كبر.. ويبقى السؤال المهم دائماً وهو هل يصنع التلفزيون مجرماً.. أو على الأقل هل يساعد على نمو الجريمة في عالمنا العربي؟

إننا، ونحن نتحدث عن أثر البث التلفزيوني العالمي القادم على نماء الجريمة في عالمنا، يجب أن لا نغفل حقيقة هامة وهي أن هذا البث ليس شراً كله.. وليس سلبياً كله كما رأينا.. ولكننا نلقي الضوء على جانب خطير ورهيب من هذا البث.. وهو قضية العنف وطغيان برامج العنف والجريمة والسلوك العدواني في برامج هذا البث، لأنه صادر من إعلام غربي ينظر إلى هذا الجانب باستخفاف كبير وبطريقة غير الطريقة التي ننظر إليها ونعاني منها.. وفي الوقت الذي أصبحت تتقبله مجتمعاتهم بصورة مألوفة فإنه يزعجنا، ويقلقنا. بل إن بعض وسائل الإعلام بدأت تعيش على مدى تسويق برامج العنف والعدوان والجريمة: (ولا يسعنا هنا سوى الاعتراف ببعض الحقائق الدولية التي لا مجال لإغفالها أو إنكارها في هذا الموضوع).

أولى هذه الحقائق: إننا نعيش اليوم في عالم عدواني يتميّز بطغيان العنف والجريمة والسلوك العدواني بشكل فاق كل ما عهده الآباء في عهود سابقة.

وثانيها: إن طغيان مثل هذا العنف صار واقعاً وحقيقة ملموسة بل وأحداثاً عادية مألوفة يتقبّلها الناس بعفوية هادئة قبولهم لبعض الظواهر الجوية المألوفة كبرودة الجو أو هطول المطر أو ارتفاع درجة الرطوبة.

وثالثها: إن بعض وسائل التواصل الجماهيرية المعاصرة والمرئية الناطقة بوجه خاص، صارت تقدم اليوم زخماً هائلاً من المواد الإعلامية المملوءة بالعنف الذي بات يفوق من حيث كميته ونوعيته كل عنف حقيقي مارسته وما زالت تمارسه المجتمعات المعاصرة.

أما أن بعض مجتمعاتنا المعاصرة تمارس اليوم عنفاً إجرامياً حقيقياً يتجاوز في خطورته حدود الوصف والتصور، فتلك حقيقة أخرى تدعمها الأرقام المذهلة التي تكشفها بعض الإحصائيات الرسمية الجنائية.

ففي مدينة أميركية واحدة كفلادلفيا التي لا يتجاوز سكانها المليونين من

البشر.. ما يرتكب في هذه المدينة وحدها من جرائم القتل يزيد على ما يرتكب من هذه الجرائم في بلد كبير كإنجلترا التي يتجاوز سكانها الأربعة والخمسين مليوناً.

كما أن بعض الإحصائيات الأميركية المروعة تشير إلى «أن شخصاً واحداً يقتل كل ست وعشرين دقيقة في الولايات المتحدة الأميركية، وأن امرأة واحدة تغتصب باستخدام العنف والقوة كل عشر دقائق.. ويقدر البعض أن من يملكون سلاحاً نارياً قاتلاً يتراوح بين التسعين والمائتي مليون»[1].

ونعود إلى السؤال المهم، وهو هل التلفزيون أو غيره يؤثر في نمو الجريمة أم أن غريزة العدوان موروثة في الجنس البشري (وهو ظاهرة مكتسبة يتعلّمها الإنسان من خلال تنشئته الاجتماعية في إطار عيشه الجماعي؟) ثم هل ينشأ العنف عن عوامل نفسية أو عقلية كالمرض العقلي الذهاني أو المرض النفسي العصابي أو الحرمان أو الإحباط الشديدين؟ وهل يرجع العنف في منشئه إلى تنشئة اجتماعية أو تربوية خاطئة من خلال مراحل الطفولة الأولى؟ وهل يتعلم الإنسان العنف أو السلوك العنيف كأي سلوك آخر نتيجة تعرضه الطويل والمتكرر لصحبة أشخاص يمارسونه بانتظام؟ وهل يتعلّم الانسان العنف بتقليد آخرين حيث يجعل منهم مثالاً يُحتذى نتيجة إعجابه الشديد بهم؟ وهل يرتبط العنف بثقافة سلفية فرعية أو بطبقة اجتماعية أو مجتمع محلي معين؟ وهل يرتبط العنف ببعض ظواهر اجتماعية أو اقتصادية محددة كالفقر الشديد أو إدمان الكحول، أو غير ذلك من ظواهر أخرى؟)[2].

وتبرز هنا نظريات مختلفة ومتباينة بين أنصار نظريات الغرائز، ونظريات أنصار فكر الكروموسوم أي بين الفريق الذي يرى أن العامل الوراثي هو الذي يؤدّي إلى ظهور العنف والسلوك الإجرامي، وبين أنصار التفسير السيكولوجي للعنف.

---

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

(٢) المصدر نفسه.

التفسير الفيزيولوجي

يؤكد أنصار نظريات الغرائز أن غريزة العدوان موروثة في الجنسين البشري والحيواني على حد سواء، فالإنسان مخلوق عاطفي تحرّكه الغريزة ويجرفه الانفعال، ولعل هذا خلاف لما يراه فلاسفة الأخلاق القدامى الذين وصفوا الإنسان بأنه حيوان عاقل، إن بعض أنصار هذا الاتجاه الطبيعي يفسّرون العنف بوجود كروموسوم إضافي يضفي على صاحبه ذكورة زائدة تقود في الغالب إلى الضعف أو السلوك العنيف، وهناك آخرون من أنصار هذه المدرسة يردون العنف إلى تلف الدماغ ذاته.

ورغم حجة هذا الفريق، فإنهم ما زالوا عاجزين عن تفسير سبب تباين السلوك العنيف بين الأفراد أو بين الجماعات رغم اشتراكهم في أرضية غريزية مشتركة واحدة.

كما أن أنصار فكرة الكروموسوم الإضافي أخفقوا في إيجاد الرابطة السببية بين وجود الكروموسوم الزائد وبين ظهور السلوك العنيف، لأنهم في الواقع لا يستطيعون تحديد عدد الأشخاص الذين يملكون مثل هذا العامل الوراثي الزائد في العالم من جهة، ومن جهة أخرى لا يستطيعون أن يفسّروا سبب ظهور السلوك العنيف بين أشخاص لا يملكون مثل هذا الموروث الزائد، ولا يملكون تفسيراً لوجود الكرموسوم الإضافي لدى أشخاص سلوكهم سلوك طبيعيّ ولا يتسم بأي عنف أو إجرام رغم أنهم يحملون هذا الكروموسوم.

التفسير السيكولوجي

ويرد أنصار هذا الاتجاه العنف إلى أسباب نفسية صرفة كفقدان السيطرة على النفس نتيجة بعض الضغوط القاهرة، أو نتيجة عوامل أخرى محددة كالكحول أو المرض العقلي أو الإحباط الشديد، وهم يعتقدون أن العنف يمكن أن يكتسبه الفرد بالتعلم عن طريق التقليد، أو عن طريق التعلم بالمكافأة.

ولا شك أن هناك بعض الدراسات العلمية التي خلصت وانتهت إلى بعض النتائج الإيجابية لإثبات صحة مثل هذه الفرضيات. ولكنها لا تصلح أساساً نظرياً كاملاً لتفسير العنف تفسيراً علمياً مقبولاً في كل المواقف والأحوال[1].

وهناك أيضاً الذين يفسّرون عملية العنف عن طريق التركيب النفسي والاجتماعي، ويردّون جذور العنف بالتالي إلى ما يمكن أن يزرع في نفسية الطفل من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية الخاطئة.

---

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

التفسير النفسي الاجتماعي

«ويقوم هذا التفسير على الاعتقاد بأن جذور العنف يمكن أن تُزرع في نفسية الأطفال وشخصياتهم من خلال عملية تنشئة اجتماعية خاطئة خلال مراحل الطفولة الأولى، وتفيد إحدى الدراسات الميدانية المقارنة التي تناولت ستة مجتمعات مختلفة في شتى بقاع العالم تضمنت إحدى المجتمعات في شمال الهند ومجتمعاً محلياً أميركياً وقرية مكسيكية وأخرى أفريقية في كينيا وأخرى في جزر الفلبين وأخرى يابانية. وقد أظهرت نتيجة هذه الدراسات المقارنية مدى إسهام طرق تنشئة الأطفال، ودور كل من الأم والأب في تطور السلوك العنيف الذي يصدر عن أطفالهم»[1]. «ويؤكد بعض علماء الاجتماع أن العنف قد يرجع إلى انتماء الشخص لثقافة سلفية فرعية تشجع العنف وتقبله وتعتمد أسلوبه وأنماطه كطريق مألوفة لمواجهة التحديات وحل المشكلات والتعامل مع الآخرين. وهناك من علماء الاجتماع من يعزو العنف إلى الفقر أو البطالة أو فشل الشخص في تحقيق أسباب الانتماء الاجتماعي لأسرته أو لمجتمعه المحلي أو لمجتمعه الكبير، أو إخفاقه في تكوين علاقات إجتماعية صحية مع الآخرين، وفي هذه الحالة يصبح الشخص منبوذاً غير مرغوب فيه. ويجد بعض العلماء أن

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

إطلاق حرية حيازة السلاح القاتل قد يقود إلى العنف الإجرامي في بعض المجتمعات.

ولا شك أن مثل هذه الفرضيات الاجتماعية وغيرها ذات أهمية علمية، لأنها تمثل محاولات علمية منهجية لتقرير أهمية الواقع الاجتماعي الذي يسهم في خلق ظاهرة العنف بشكل أو بآخر.

ولكن جميع هذه الفرضيات لا تحمل من الحجة العلمية ما يؤهلها لصياغة نظرية علمية متكاملة في ميدان سببية العنف أو تفسير طبيعته ومنشئه. فالقول بأن للعنف ثقافته الفرعية السلفية لا يصلح لتفسير حدوث العنف في معدلات عالية في مجتمعات سوية غير سلفية، كما أن العنف لا يعد اليوم ظاهرة طبقية أو صفة لاصقة بالطبقات الفقيرة المحرومة التي تعاني إحباطاً كبيراً نتيجة إخفاقها في تحقيق أهدافها المشروعة بأساليب مشروعة»[1].

وإذا ما نظرنا إلى المستقبل وحاولنا استكشاف ما يمكن أن تأتي به البرامج المستقبلية من كميات العنف والجريمة والسلوك العدواني، فإننا لا نستطيع أن نتفاءل أبداً لأن معظم هذه الشركات المنتجة لهذه البرامج أخذت تعيش كما أسلفنا على الترويج للعنف والإغراء بعرض أفلام الجريمة، وهي لا تأخذ في اعتبارها قطعاً طبيعة المشاهدين في عالمنا والمشاهد في غير محيطها.. وهي بالتالي تدفع الناس عن طريق الإثارة إلى مزيد من حب برامج العنف وأفلام الجريمة حتى أنها للأسف تروجها لدى الأطفال: «فنحن نلاحظ أن أفلام الرسوم المتحركة والبرامج الخاصة بالأطفال التي يعرضها التلفزيون في أكثر المجتمعات المعاصرة بدأت هي الأخرى تفيض بمشاهد العنف والعدوان، ولعل هذا بمفرده يشكّل لنا المدخل المنهجي والمبرر المشروع لمناقشة الآثار التي يتركها هذا الجهاز من خلال عرض مشاهد العنف والرعب والجريمة ولفترات

---

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

زمنية طويلة متكررة، ومدى تأثير ذلك على الأطفال وكشف موقع هذا التأثير بين عمليات التنشئة الأخرى.

وعن هذا يقول الدكتور ورتام: لا شك أن تعريض عقول الأطفال إلى مشاهد العنف والقسوة والسادية والإجرام بصورة مستمرة يترك بصماته العميقة لديهم كما هو الحال في بعض البرامج التلفزيونية الجيدة التي تترك آثاراً حسنة في ذاكرتهم.

فالتلفزيون في حياة الأطفال، إما أن يترك آثاراً حسنة أو آثاراً سيئة ولا يمكن أن يكون حيادياً»[1].

يقول الطبيب الأميركي ستيفن بانا وهو أستاذ بجامعة كولومبيا أن انحراف الشباب يرجع دائماً إلى اضطرابات عاطفية ونفسية ويستطرد قائلاً: «إذا صح أن السجن هو جامعة الجريمة، فإن التلفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الشباب»، ويرى أنه من الضروري تقصي أثر الأفلام على النشء وتشجيع بحوث العلماء في هذا المجال.

وقد عرضت إحدى شبكات التلفزيون الأميركي (ن. ب. س) تمثيلية يُداهم فيها الإرهابيون ركاب إحدى قطارات الأنفاق التي تجري تحت الأرض ويقتلون أحد هؤلاء الركاب، فإذا بأحد الشباب المنحرفين يقتل مخبراً للشرطة في إحدى قطارات الأنفاق بالطريقة نفسها التي شاهدها على شاشات التلفزيون.

وقد ذبح السفاح الألماني هنريش بوميرنيك أولى ضحاياه في إحدى الحدائق، وكان قد خرج لتوه من دار السينما حيث شاهد فيلم «الوصايا العشر» للمخرج سيسيل دي ميل حيث رأى النساء اليهوديات يرقصن حول «العجل الذهبي»، فقرر أن النساء هن أصل الشر في العالم وخرج لكي يذبح المرأة المسكينة عملاً على تطهير العالم من مصدر الشر.

---

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

وبعد أن شاهد السفاح الإنجليزي «جون جورج هو» برنامجاً تلفزيونياً عن الطقوس الدينية الوثنية التي كانت تتضمن شرب دماء القرابين البشرين، قال إنه شعر بظمأ إلى الدم فذهب حيث اصطاد أولى ضحاياه، فذبحه ثم امتص دمه مستخدماً ماصة المياه الغازية أو ماسورة الشفط.

ولعل قصة الفيلم المشهور إنهم يقتلون الجياد They shoot horses do not they? التي تركز على طفل شاهد أهله يقتلون حصاناً عزيزاً عليهم بعد أن وقع وكسرت قدمه، وأصبح ذلك الحصان يتعذب، فأخذوه إلى جانب من المزرعة والطفل ينظر إليهم، ثم أطلقوا الرصاص على الحصان ليريحوه من العذاب والآلام، وعندما سأل الطفل عن أسباب إطلاق الرصاص على الحصان، أوضحوا له بأن الهدف هو إراحته من ذلك العذاب. وبقيت هذه القصة في ذاكرة الطفل، فلما أصبح شاباً، وتعرف على فتاة وأحبها، وكانت هذه الفتاة تمر بظروف قاسية ومرهقة حتى اضطرت للعمل في سيرك للحيوانات وكان كل يوم يلقاها ويحس أنها تتعذب.

وفي يوم من الأيام بلغ بها العذاب ذروته، وشكت للشاب، فتحركت العوامل في عقله الباطن، وأخذ مسدساً وأطلق عليها الرصاص، وعندما تجمع الناس أخذ يتحدث إليهم بكل بساطة بأنه قتلها ليريحها من العذاب، تماماً كما كان أهله يفعلون بالحصان عندما كان يتعذب.

وقد أوقفت النيابة العامة في مصر إذاعة أحد المسلسلات عندما ارتكب شاب مجرم جريمة مطابقة تماماً للجريمة المذاعة، كما قام بعض الشبان بمداهمة إحدى المحلات على غرار ما شاهدوه على شاشة السينما بالمدافع الرشاشة.

وفي إسبانيا، ظهر أن ٣٩٪ من الشباب المنحرفين قد تلقوا معلوماتهم من الأفلام التي تشرح لهم تفاصيل ارتكاب الجريمة وطرق الاعتداء على الناس وأساليب الانحراف الخلقي، ولا شك أن عمليات الخطف والسرقة والعنف

التي تعرض على شاشة التلفزيون تؤثر تأثيراً مباشراً على نفسية الشباب وسلوكه[1].

وفي الخلاصة، فإنه من الصعب أن يتصور الإنسان أن تكرار مشاهدة الأطفال أو حتى الناشئة لوجبات متكررة ودسمة من العنف والجريمة وبصورة مثيرة من الممكن أن تمر دون أن يتأثروا بها مهما كانت تربيتهم أو تنشئتهم سليمة.. صحيح أن الضرر في الحالة الأخيرة أقل إذا صاحبته تنشئة سليمة وعقلانية ولكنه لا يمكن أن يكون بعيداً عن التأثير المطلق.. لأنه عامل جوهري وقوة تأثيره كبيرة.

ويبرز سؤال آخر على لسان الدكتور عدنان الدوري هو: هل يؤثر العنف في التلفزيون على الأطفال بشكل واحد، ويجيب الدكتور الدوري على هذا السؤال قائلاً: «لقد أظهرت بعض الدراسات الميدانية أن الأطفال بوجه عام لا يتأثرون بالتلفزيون وبمشاهد العنف التلفزيوني بشكل واحد، فالواقع أن هناك من الأطفال من يستطيع التمييز بين الحقيقة الواقعية وبين الخيال العلمي أو الخيال الترويحي، كما أن قلة قليلة من الأطفال هم الذين يتأثرون بالتلفزيون بوجه عام، وأن الذكور في الغالب أكثر تأثراً من الإناث. كما أن بعض الدراسات العلمية الميدانية أظهرت أن الأطفال بوجه عام يقلدون السلوك التلفزيوني بسهولة، فالعنف المصوّر في التلفزيون وفي وسائل الإعلام المختلفة لا يدفع الطفل العادي إلى تقليده مباشرة أو حتى ممارسة بعض صوره وأنماطه.

ويمكن القول بأن ردود فعل الفرد الذي يشاهد العنف المصور تقوم على أرضية ثقافية عريضة معقدة قوامها مجموعة مركبة من العوامل الأسرية والشخصية والبيئية المختلفة، والتأثير الإيجابي للبيت وتأثير جماعة اللعب قد يشكلان أحياناً درعاً واقياً ضد سلبيات مشاهدة العنف التفلزيوني»[2].

---

(١) موقف الإعلام من التحدي القائم بين الحضارة الحديثة والشباب العربي ـ د. إبراهيم إمام محمود ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية ـ الرياض.

(٢) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

من هنا تنشأ العلاقة بين مشاهدة أفلام العنف والجريمة، وبين زيادة معدلات جنوح الأحداث إلى الجريمة وانحرافهم:

«إن السلوك الجانح ظاهرة معقّدة التركيب حيث تخضع إلى مجموعة مترابطة من العوامل والمتغيرات والظروف والعوامل الشخصية والبيئية بعضها جوهري، والبعض الآخر عوامل ثانوية مساعدة ولكنها جميعها تعمل في مجال كلي كبير ولا ينفرد في التأثير عامل واحد أو متغير واحد.

ولكن قد يلاحظ في بعض حالات استثنائية يقلد بها بعض الأطفال أنماطاً إجرامية سبق لهم مشاهدتها على شاشة التلفزيون، ولكن مشاهد العنف والجريمة يشاهدها عدد هائل من الأطفال، إلا أن حالات قليلة جداً أو فريدة من نوعها هي التي تثبت استجابتها للمشهد التلفزيوني، أي أن بعض هؤلاء الأطفال قاموا بتقليد مشاهد تلفزيونية معيّنة تأثروا بنماذجها.

إن الدراسات العلمية المتيسرة في هذا الشأن تؤكد أن الطفل لا يقلد النماذج التلفزيونية في حياته العادية تقليداً أعمى، فيرتكب جريمة سرقة خزانة حديدية كالتي شاهدها في برنامج تلفيزيوني معيّن. إن التقليد الفعلي لجريمة السرقة لا يمكن أن يتم إلا إذا تهيأت للطفل المواقف المناسبة والظروف المشابهة للمواقف والظروف التلفزيونية ذاتها التي شاهدها الطفل، كما أن هذا لا يكفي لحصول التقليد، بل إن فعل السرقة لا يتم عن طريق التقليد إلا إذا سمحت أخلاقيات وقيم الطفل الذاتية لارتكاب فعل السرقة، وهذا جميعه يشكّل مجموعة كبيرة من المتغيرات لا يمكن أن تكون مطابقة بصورة تامة.

إن ظروف تنشئة الطفل الاجتماعية ومدى صلابة قيمه ورسوخ اتجاهاته نحو الخير والحلال والعدل، تشكّل العامل الأساسي الرادع لحصانة معنوية تقف بوجه الإغراء المحتمل مهما قويت ظروفه وتعدّدت فرصه.

وبإيجاز، فإن الأطفال الذين يتميزون بعدوانية سابقة هم الذين يتأثرون أكثر من غيرهم بمشاهد العنف التلفزيوني، ذلك أنه في داخل كل منّا نزعة عدوانية

غريزية نحو التدمير أو الإيذاء أو الموت، ولكن مثل هذه النزعات الغريزية تختفي وراء مجموعة من الحواجز الاجتماعية والكوابح الأخلاقية والثقافية والدينية»[1].

وبعد أن استعرضنا كل ما سبق من آراء ونظريات، نحاول هنا أن نصل إلى لب المسألة.. ونجيب بالتالي على السؤال المطروح أساساً كمنطلق لهذا البحث.. وهو هل يؤثر التلفزيون العالمي مستقبلاً على نمو الجريمة في عالمنا العربي والإسلامي؟

ولعل الإجابة تأتي للوهلة الأولى لتؤكد أنه فعلاً يؤثر ويسهم في زيادة الجريمة وفي تنوعها وابتكارها طرقاً جديدة لها وتطور أشكالها دون شك.. ولكنه لا يؤثر بمعزل عن العوامل والمتغيرات والظروف الاجتماعية والبيئية والنفسية للمجتمع، وبالتالي فنحن نتوقع مع وصول البث التلفزيوني المباشر إلى كل منزل أن يسهم في زيادة العنف والسلوك العدواني وربما الجريمة المباشرة، ولكن لن يكون تأثيره بصورة متساوية في جميع المجتمعات ولا بالدرجة نفسها. بل إن قضية التأثير سوف تخضع لعوامل أسرية وبيئية وثقافية.. فكلما كان المجتمع واعياً ومدركاً لأبعاد هذا الخطر، سهل تقليل أثره ومقاومته من قِبل برامج جيدة للأسرة والمجتمع. وسوف يكون تأثيره أكبر في الدول والمجتمعات التي تعاني من البطالة والفراغ وتردّي مستوى التعليم.. لأن الحصانة الحقيقة لن تكون في منع هذا البث، أو تحريم تداوله وهو ما يبدو حتى أمراً غير ممكن مستقبلاً.. ولكن الحصانة تكون عن طريق التوعية.. وترسيخ القيم النبيلة وإيجاد البدائل المناسبة.. وتحسين فرص العمل وتطوير مستويات التعليم وتنوّعها بصورة تحقق حاجات المجتمع، وتوفر فرص العمل للشباب الراغبين في العمل وكسب ثقة المشاهد واحترام مشاعره.

«إن هيكل التنظيم الاجتماعي الذي يشتمل على مجموعة المعتقدات الدينية

---

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

الراسخة في الضمير الإنساني والأعراف والأنظمة والقوانين والقيم الاجتماعية والأخلاقية المتصلة بمفاهيم الخير والعدل والعفة والشرف والأمانة، جميعها تشكل لدى الإنسان السوي درعاً واقياً صلباً تتكسر على سطحه كافة النزعات العدوانية المحرمة والمكبوتة في أعماقنا اللاشعورية، وهي، ولا شك، مشاعر ممنوعة محرمة تتربص الانطلاق لدى أول فرصة سانحة»[1].

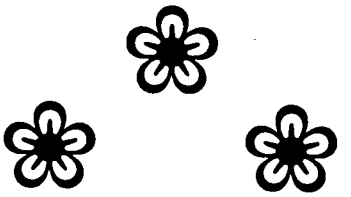

(١) العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب ـ د. عدنان الدوري ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.

ما هي الوسائل الإيجابية للتخفيف من هذه الاخطار؟

ولا بد أن نأخذ في الاعتبار رغبة هؤلاء الأطفال والشباب في مشاهدة البرامج الوافدة ما لم يتوافر لهم البديل الجيد مع ضرورة: (أن يقدّم المجتمع منافساً بديلاً من ثقافته ومجتمعه بحيث يستقبله الجمهور ويستعيضه عن تلك القنوات الوافدة العالمية المفروضة. ولكن هذا الخيار هو الخيار الصعب، فإيجاد تلك المادة المنافسة ليس مما يسهل توافره، ولا أريد أن استفيض حول هذه النقطة، فهذا دور ومسؤولية الإعلام والإعلاميين العرب.

ولكن ما أحب أن أؤكده هو أن البرنامج الحسن الإعداد مادة وإخراجاً يكسب جمهوراً غفيراً حتى وإن كانت مادته علمية دسمة. بل إن هذه المادة هي التي تخلق ولاء الجمهور المستهلك، وليست السطحية والإثارة العابرة التجارية هي الأصل كما يدّعي أصحاب الأعمال التجارية البحتة»[1].

إن الدراسات التي أجريت جميعها تؤكد لنا حاجة الشباب إلى برامج التلفزيون وإقباله عليها حتى قبل البث العالمي بكل إغراءاته، فكيف إذا عم الكون بث مكثف من كل نوع كما هو حاصل في أميركا وأوروبا ولدى بعض المجتمعات والخاصة.. عندها كيف سيكون الوضع.. وما هو المخرج؟

---

(١) مسؤولية الإعلام تجاه تجارب التقليد في المجتمع العربي المعاصر ـ د. أبو بكر باقادر ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ـ الرياض.

ولقد أوضحت بعض الدراسات التي أجراها اتحاد الإذاعات والتلفزيون في جمهورية مصر أن أعداداً مذهلة تشاهد البرامج الحالية و: (قد ثبت من بحث أجراه اتحاد الإذاعة والتلفزيون في جمهورية مصر في عام ١٩٧٦ م حول تعرّض الشباب لوسائل الإعلام المختلفة أن ٦٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام. فإذا طبقنا هذه النسبة على تعداد السكان في مصر الآن وقد بلغ عددهم وفق تعداد ١٩٨٣، ٤٥ مليون نسمة ٢٦٪ منهم من الشباب، لتبين أن عدد مشاهدي التلفزيون بانتظام من الشباب في مصر يصل إلى حوالى ١٦ مليون شاب.

وتزيد هذه النسبة في حالة الاذاعة فتصل إلى ٩١٪، وتصل بالنسبة للصحف اليومية إلى ٦٧٪، والمجلات ٥٩٪، والكتب ٤٣٪، والسينما ٧٠٪، والمسرح ٢٤٪.

وفي بحث أجري في لبنان حول الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون على الشباب وشمل عينة تصل إلى ٣٨١ شاباً في عام ١٩٧٩ م، أي قبل الأحداث المؤسفة هناك، تبين أن ٧٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام وأن ٦١٪ يفضلون القراءة.

وفي بحث أجري في الكويت عام ١٩٨٢ م على عينة وصلت إلى ٢٠٥٦ شاباً بهدف التعرّف على اتجاهات الشباب نحو المطالعة في المجتمع الكويتي المعاصر، تبين أن التلفزيون صرف ٦٢٪ منهم عن القراءة، في حين أن الإذاعة لم تصرف إلا ٢٤٪ والسينما ٢٣٪.

وعندما نتحدث عن مشاهدة التلفزيون بانتظام، فإننا نعني بذلك المشاهدة التي تصل في المتوسط ما بين ثلاث وأربع ساعات يومياً، كما ثبت من بحث مقارن أجراه عام ١٩٨٢م على خمسة أقطار عربية المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين التابع لاتحاد إذاعات الدول العربية.

ومن هنا تظهر خطورة الدور الذي يلعبه التلفزيون في حياة الشباب في المنطقة العربية والآثار التي يمكن أن تترتب على هذه المعايشة اليومية.

ولعله من المفيد أن نشير إلى بعض نتائج بحث أجراه اتحاد إذاعات الدول العربية في عام ١٩٨٣ م حول اتجاهات البرمجة التلفزيونية في الوطن العربي، تم فيه التحليل الإحصائي للبرامج التلفزيونية في خمسة أقطار عربية، هي: الجزائر، تونس، مصر، سوريا، واليمن الديمقراطية، وقد تبين أن نسبة المواد الأجنبية المستوردة من خارج المنطقة يصل في المتوسط إلى ٣٠٪ من مدة الإرسال وهو يصل في بعض الأقطار العربية إلى ٥٠٪ من هذه النسبة[١].

وبالجملة، فإن الأمور تقودنا إلى حقيقة لا مراء فيها، وهي أن تلفزيوناً بلا حدود سوف يؤثر، وسوف يسهم في زيادة الجريمة وتنوعها، ولكن هذه الزيادة وهذا التنوع يتناسب تناسباً عكسياً مع مقدار ما نستطيع أن نفعله في مجال التربية والتوعية وتحمل المسؤولية، والنظرة المستقبلية والتصرف الحضاري، واستشعار هذا الخطر، والاستعداد له بصورة علمية وفاعلة، وخطوات جادة نتحمل فيها جميعاً المسؤولية، حكومات، وشعوب، وأسر، بل وأفراد.

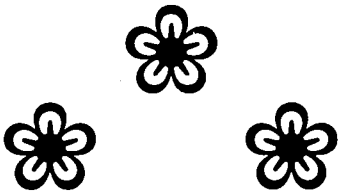

(١) البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية بماذا تعد الشباب ـ الأستاذ سعد لبيب ـ من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ـ الرياض.

الفصل الخامس

الإعلام الإسلامي

- تمهيد
- المؤتمر الإسلامي لوزراء الإعلام
- الإعلام الإسلامي والنظام العالمي الجديد
- حملات التنصير من خلال الإعلام
  - الجمهور المستهدف
  - مواقع التخطيط للإذاعات التبشيرية
  - مراكز التدريب
- أهداف الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين

تمهيد

تمتاز المنطقة العربية عن غيرها من مناطق العالم ومجموعاته الإقليمية بمميزات تاريخية وجغرافية تجمعت خلال القرون الأربعة عشر الماضية، لتتكون حضارة واضحة المعالم يجري الدين الإسلامي واللغة العربية في قنواتها الاتصالية التي نمت وتطورت عبر هذه القرون، مجرى الدم في العروق. ولسنا اليوم بحاجة لأنه نثبت أن هناك أمة عربية أو أن هناك حضارة عربية، فهذا موضوع لا يحتاج إلى جدل، وأصبح في الواقع ظاهرة موجودة نلمس آثارها التاريخية والمعاصرة بصرف النظر عن الظروف السياسية التي أقامت بين أجزائها خطوطاً دولية تحدد امتداد الاستقلال القطري أو السيادة الوطنية لكل منها. وفي الوقت نفسه، لم تحل المعالم المشتركة للذاتية الحضارية التي يمكن أن نسميها الهوية القومية دون وجود مميزات محلية أو قطرية تعطي مذاقاً خاصاً وطابعاً فريداً لكل جزء من هذا الكل، فكانت صورة من التنوع الحضاري في إطار الوحدة. ولم يكن الانسياب الإعلامي أو الثقافي عبر الحدود السياسية في أي وقت من الأوقات، ورغم كافة الظروف، انتقالاً عبر الحضارات لكن انتقالاً في أرجاء حضارة واحدة. بل إن القيمة الحقيقية لجامعة الدول العربية ومنظماتها المتخصصة في الوجدان العربي هي أنها الإطار الرسمي لانتماء دولها إلى أمة عربية واحدة. ولا بد في أي محاولة للتخطيط على المستوى القومي في ظل هذه الحقائق من تتبع المسارات الطبيعية للانسياب الإعلامي ورسم خريطة واقعية لها، ثم العمل من خلال التخطيط المشترك على تعميقها أو تعديلها بما يتفق مع مقتضيات التطور السريع في وسائل الاتصال واستخدام قنواته.

المؤتمر الإسلامي لوزراء الإعلام

في غرة ربيع الأول من العام ١٤٠٩ هـ. عقد في جدة أول مؤتمر إسلامي لوزراء الإعلام على أرض الرسالة والسلام برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لمساندة وتعزيز العمل الإسلامي المشترك في المجالات الإعلامية والعلمية والتقنية، سواء على المستوى الثنائي أو بإشراف منظمة المؤتمر الإسلامي، مع دعم ومساندة جميع المؤسسات الإعلامية الإسلامية.

وانعقد المؤتمر الإسلامي الثاني لوزراء الإعلام في القاهرة في ١١، ١٢ رجب ١٤١٢ هـ (١٥، ١٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٩٢م) بحضور ممثلي ثلاث وأربعين (٤٣) دولة إسلامية. وأكد المؤتمر على أهمية الدور الذي يقوم به الإعلام الإسلامي في إطار دعم جميع القضايا الإسلامية العادلة، وصادق المؤتمر على الخطة الإعلامية للبلدان الإسلامية، كما صادق على مشروع ميثاق الشرف الإعلامي الإسلامي ليكون وثيقة يستهدي بها الإعلام الإسلامي في مسيرته. كذلك، صادق المؤتمر على مشروع النظام الأساسي للبرنامج الإسلامي وتنمية الإعلام والاتصال. واتخذ المؤتمر عدداً من التدابير لدعم وتعزيز دور المنظمات الإعلامية الإسلامية كوكالة الأنباء الإسلامية الدولية، ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية. كما أكد المؤتمر ضرورة تعزيز التعاون في ميدان الاتصالات الفضائية والأقمار الصناعية واستخدام المرافق الإقليمية والدولية والمتاحة في خدمة

الإعلام الإسلامي، من أجل توثيق الروابط وتعميق التفاهم والتضامن فيما بين شعوب العالم الإسلامي ودوله.

كما صدر عن المؤتمر «إعلان القاهرة الإعلامي» متضمناً التأكيد على أهمية دور التزام أجهزة الإعلام الإسلامي ومؤسساته على تبني قضايا العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية طبقاً لقرارات القمة الإسلامية السادسة، وما تضمنه إعلان داكار من مبادىء وتوجهات، وعلى الأخص إبراز عطاء الإسلام للحضارة الإنسانية والبشرية ومبادئه السمحة وقيمه الرفيعة في المساواة والعدل وحقوق الإنسان ودعوته للسلام والأمن بين الشعوب، وتأكيده على احترام العهود والمواثيق ونبذه للعدوان أو التهديد به، ورفضه للإرهاب بجميع أشكاله.

وأشار بصفة خاصة إلى توجيه الاهتمام بالمجاهدين الأفغان وبالجمهوريات الإسلامية حديثة الاستقلال وشعوبها، وكذلك الأقليات المسلمة في العالم والتعريف بها ودعم قضاياها وحماية حقوقها وتزويدهم بالبرامج والكتب والنشرات والمواد الإعلامية، وتخصيص إذاعات موجهة لهم بلغاتهم المحلية تخدم أهداف الدعوة وتنشر الثقافة الإسلامية بين أبنائهم، وتعمل على توثيق علاقاتهم الأخوية بباقي الشعوب الإسلامية.

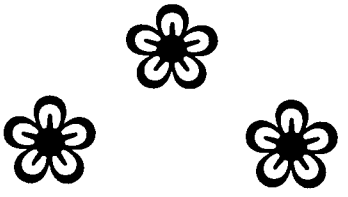

الإعلام الإسلامي
والنظام العالمي الجديد

في ظل هذه الظروف الدولية الراهنة وكل هذه المحن والبلايا التي تحيط بالأمة العربية والإسلامية، يسعى بعض المفكرين ورجال الإعلام في العالم الإسلامي أن يتدارسوا قضية الإعلام الإسلامي ومسيرته وأبعاده، والكل كان يحاول أن يجد تعريفاً مقبولاً لمفهوم الإعلام الإسلامي. على أن البعض يرفض رفضاً باتاً تسمية الإعلام الإسلامي ويرى أن البديل الصحيح هو الدعوة، وأن الدعوة هي التعبير الصحيح للإعلام الإسلامي.

من ناحية أخرى، يرى بعض المتصلين بالإعلام الإسلامي أنه ليس الدعوة وليس الإعلام الإسلامي ولكنه الاتصال الإسلامي. ومن الواضح دون شك أن مجرد تغيير الاسم لن يغير في هوية الإعلام، ولكنه في الوقت نفسه يعبر عن نظرة هؤلاء وأولئك إلى قضية الإعلام، وسواء سموه الإعلام الإسلامي أو الدعوة الإسلامية أو الاتصال الإسلامي، فإنهم بلا شك يتحدثون عن شيء واحد ينظرون إليه من وجهات مختلفة، على أن هناك فئة أخرى رأت أن هناك أيضاً نظرية خاصة للإعلام الإسلامي، ومن هؤلاء الدكتور منير حجاب في أوائل الثمانينات، ولو أنه لقي اعتراضاً من عدد من المفكرين ومنهم الأستاذ يحيى أبو بكر الذي عبّر عن رأيه بوضوح.

«وأشير في هذا الصدد أولاً إلى ما كتبه الدكتور منير حجاب في أوائل

الثمانينات عن نظريات الإعلام الإسلامي وأذكر، على الرغم من تقديري لهذا العمل العلمي أني اعترضت على الحديث عن «نظريات» في مجال الإعلام الإسلامي. نعم هناك منهج إعلامي إسلامي، لكن ليست هناك نظرية بالمعنى المعروف (Theory) لأن النظرية ليست إلا مجموعة من الفروض التي يثبتها البرهان، وتظل ثابتة إلى أن تنقضها نظرية أخرى، وكثيراً ما حدث ذلك في مختلف اجتهادات الفكر الإنساني. ولا مجال في الدعوة الإسلامية أو الإعلام الإسلامي أو الاتصال الإسلامي لنظريات تثبت ثم تبطل، بل هناك محتوى وأركان وقواعد، ومرجعنا فيها جميعاً هو الكتاب والسنّة. وإن كانت لنا فرصة الاجتهاد في التطبيق العملي أو في اختيار الوسائل والأساليب والأدوات، ونستطيع أن نتخذ أنسبها وأكثرها ملاءمة لكل موقف من المواقف الاتصالية التي نتعرض لها دون حاجة إلى استنباط نظرية تعتمد على الفرض والإثبات»[1].

ثم نأتي بعد ذلك إلى ما كتبته الدكتورة ماجي الحلواني تحت عنوان «الإعلام الإسلامي والتحديات» حيث إننا نراها تتحدث عن المنجزات الإعلامية في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية والإذاعات الإسلامية، والتوسع في إذاعات القرآن الكريم ونشر القرآن الكريم ومعانيه، وتوزيع الكتب الإسلامية، وإصدار الدوريات والمطبوعات والتسجيلات المسموعة والمرئية. وهي بهذا تنظر إلى أن هذا هو الإعلام الإسلامي، وتدعو بالتالي إلى تصحيح الصورة في أذهان الناس في الغرب عن الإسلام والمسلمين، باستخدام هذه القنوات استخداماً صحيحاً والاستفادة من تكنولوجيا الفضاء.

من ناحية أخرى، نرى الأستاذ محمد السمّاك يتحدث في مقارنة بين الإعلام الإسلامي والإعلام اليهودي والإعلام المسيحي، ويحاول في الدراسة التي نشرها

---

(١) الإعلام الإسلامي والنظام العالمي الجديد ـ الأستاذ يحيى أبو بكر ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

في يناير /كانون الثاني ١٩٩٢م أن يصف الإعلام الإسلامي بأنه أصبح إعلاماً دفاعياً، وأن أداءه الإعلامي أصبح يواجه بمشاكل عديدة، وهذه المشاكل جعلته يتقوقع ليصبح إعلاماً دفاعياً، وسببه تركيبة المجتمع وما يعانيه من تخلف، بالإضافة إلى الوضع الدولي وحركات الاستقطاب الدولية، إلى غير ذلك.

وبهذا نحسّ الآن بأن الإعلام الإسلامي يجعلنا نقف أمام قضية مهمة تواجه الأمة الإسلامية في هذه المرحلة من التغيرات العملية التي ذكرناها، وهذه التأثيرات الكبيرة التي تتعرض لها الأمة الإسلامية. ولا شك أن هذا الإعلام الإسلامي أو الاتصال الإسلامي أو إعلام المسلمين عن أنفسهم أصبح اليوم جزءاً من النظام العالمي الجديد، وجزءاً فعالاً وبدون أن تتحرك فيه الأمة الإسلامية وتستفيد منه، فإنها تخسر خسارة كبيرة وتفقد أداة مهمة من الأدوات التي يمكن أن تكون فاعلة في مجال هذا الصراع الدولي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي. أضف إلى ذلك ما تفرضه التكنولوجيا الحديثة والتقدم، وما أصبح يحيط بنا من شبكات ونظم للاتصال والمعلومات وبعض دولنا لا تعرف عن هذه التكنولوجيا وتستفيد منها، على الرغم من أنها تغطي ترابها في بعض الأحيان.

فمثلاً، على الرغم من أن الأقمار الصناعية أصبحت متواجدة ويستفاد منها في البث على أراضي كثير من الدول العربية والإسلامية، إلا أن هذه الدول لم تشترك أساساً في هذه الوسائل. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن بعض الدول شاركت واشترت هذه التكنولوجيا وأنفقت فيها الكثير من المبالغ الضخمة ولكنها أيضاً لم تسخرها التسخير السليم ولم تستفد منها الاستفادة القصوى أو حتى المناسبة.

ومن ينظر إلى عالمنا العربي اليوم يحس بنوع من التناقض وعدم التوازن في مجال الاتصال عبر الأقمار الصناعية وحتى عبر الشبكات العادية الأخرى، لأنه لم يستفد من هذه التكنولوجيا الحديثة إلى حد كبير ولم يواكب المستجدات الحديثة. وفي بعض الأحيان، نحس وكأن العالم العربي لا يكاد يعرف حاجاته

الأساسية وأولوياته ولم يحدد الأهداف التي يرغبون في بلوغها، وكل ما هناك أن العرب تسابقوا إلى شراء التكنولوجيا، والبعض تقاعس عنها لضعف قدراته المالية ولظروفه الاقتصادية أو أي ظروف أخرى، ولكن حتى الذين اشتروها لم يوظفوها التوظيف الكامل.

هنا تأتي أهمية أن ننظر بوعي إلى هذه القضية وأن ندرك أننا في عصر الفضاء لا يكفي أن نشتري التكنولوجيا، ولا يكفي أن نجلس في مقاعد الزبائن، ولكن كان من واجبنا قبل شرائها أن نتعلمها وأن نجلس منها في مقاعد التلاميذ، وأن نعرف كل شيء ممكن عنها كما فعل اليابانيون عندما أرادوا أن يطوروا تكنولوجيتهم فاتجهوا إلى تعلم هذه التكنولوجيا، واليوم نكرر هذه الصورة. فنحن عندما نذهب إلى أي بلد لشراء التكنولوجيا، فإنما نجلس مجالس الزبائن بينما جلس غيرنا مجالس التلاميذ ومن هنا يتعلمون التكنولوجيا، ونحن نشتريها ولا نستفيد منها الاستفادة القصوى لجهلنا بها.

والحقيقة، أننا نلاحظ اليوم أن الإعلام برز دون شك كقوة عالمية مهمة ذات أثر في مكانة الأمم، وإذا كان الاقتصاد اعتبر هو والسياسة قضيتان هامتان تحددان إلى حد كبير وضع الأمم وقدرتها، فإن الإعلام قد برز دون شك كقوة ثالثة مؤثرة وفاعلة، مما أدى إلى أن نبحث عن نظام إعلامي عالمي جديد لأن القدرة على الاتصال سمة الدول المتقدمة. وقد توسعت الفجوة وكبرت الهوة بين الدول النامية والدول المتقدمة بسبب القدرات الاقتصادية وقدرة هذه الدول على الاتصال بعضها ببعض. وبلا شك، إن ضعف الدول النامية والفقيرة وعدم قدرتها على الاتصال زاد في هذه الهوة كما ذكرنا، وعزل إلى حد كبير هذه الأمم الضعيفة والفقيرة، وأصبح الإعلام نفسه ذا أثر كبير في المجال السياسي والاقتصادي للأمم.

ومن هنا نلاحظ أن الإعلام الإسلامي بكل أسف لم يستطع أن يدعم بعضه بعضا، وليس هناك تعاون وثيق بين الدول الإسلامية في هذا المجال بصورة

متكاملة وفاعلة تمكّنهم من تكاتف الجهود والتعاون، ليكون عملهم الإعلامي في محصلته عملاً واحداً متكاملاً يدعم بعضه بعضاً. واتجهت الأمة العربية والأمة الإسلامية إلى إعلامات مستقلة على مستوى الدولة الواحدة وحتى في إطار المنظمات الدولية الإسلامية التي أنشئت، كوكالة الأنباء الإسلامية ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية أو أي مستوى آخر، بقي التعاون صورياً وضعيفاً وغير فعال، وتجمدت نشاطات بعض هذه المؤسسات لأن الدول نفسها غير راغبة في أن يكون عملها في محصلته دعماً لعمل إعلامي إسلامي عالمي مشترك، وإنما فضّلت أن تدعم كل دولة جهودها الذاتية وأن تستقل بذاتها، وهذا قد أدى إلى ضعف الإعلام الإسلامي ككل.

لقد قامت الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، إيماناً منها بأهمية الإعلام والاتصال والأنباء على وجه الخصوص، بإقامة وكالة الأنباء الإسلامية الدولية منذ بداية السبعينات. ورغم التشجيع الذي بذلته بعض الدول لتلك الوكالة، إلا أنها ما لبثت أن تراجعت وتراجع نشاطها، ولم تستطع أن تنهض بالمهمة المنوطة بها على الوجه الذي يتناسب مع ما ضخ فيها من أموال، حتى وصلت في أوائل الثمانينات إلى حالة مؤسفة من التردي. واقترحت إدارتها المؤقتة بعد أساليب التطوير. وكان من المحتم على بعض الدول أن تبادر باستنقاذها منها، مع مزيد من التضحيات، وهو ما نهضت به المملكة العربية السعودية مع بعض الشقيقات، ولا يزال الرجاء معقوداً على عودتها إلى الوقوف على أقدامها والقيام بمهمتها الحيوية في مجال الأنباء وهو مجال تتعاظم أهميته وخطورته في الحقبة الحالية.

أما منظمة إذاعات الدول الإسلامية، فعلى العكس منها، كانت أكثر توفيقاً بمراحل، نظراً لما توافر لها من إدارة صارمة وحكيمة كان على رأسها الأستاذ أحمد فراج أمينها العام ـ الذي سعد المؤلف بالتعاون معه عن قرب ودعمه بكل الإمكانيات أثناء توليه وزارة الإعلام السعودية ـ ومع أن المنظمة مرت في ظروف لا تقلّ صعوبة عن شقيقتها، إلا أنها لم تستسلم لسلبية بعض الدول ـ التي كانت

غالباً رد فعل لأوضاع الوكالة - وقامت منظمة إذاعات الدول الإسلامية بتبادل عشرات الألوف من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، ثم قامت بعملية تمويل ذاتي لنشاطها وإنتاج مئات من البرامج والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية التي أعادت استثمار عائداتها لإنتاج المزيد منها مما كان له أكبر الأثر في إشادة الدول الأعضاء (بتجربتها الفريدة) - كما قررت لجنة القمة الرئاسية للثقافة والإعلام برئاسة الرئيس عبده ضيوف رئيس السنغال - بل وحثت سائر المنظمات الإسلامية الأخرى على اتباع منهج منظمة الإذاعات والاستفادة بتجربتها في تحقيق التمويل الذاتي لأنشطتها وتجاوز العقبات المادية التي اعترضت نشاطها. بالإضافة إلى نجاح إدارة المنظمة في توجيه التبرعات المادية إلى أصول ثابتة تمثلت في شراء مقر دائم وتجهيزه بأحدث أجهزة الاذاعة والتلفزيون.

ومع ذلك، يبقى أن نقرر بكل الأمانة الموضوعية أن جنوح غالبية الدول الأعضاء - وباستثناءات قليلة - تتجه إلى النشاط الفردي أو التعاون الثنائي أكثر مما تتجه إلى التعاون على نطاق الإعلام الإسلامي أو الدولي بعامة، رؤية للذات و«الأنا» الإعلامية.

وفي إطار التصرفات الدولية الحديثة، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانفراد أميركا بالقوة والهيمنة، جاءت قضية جديدة هي قضية هيمنة الاتصال أو الهيمنة في عالم الاتصال، عندما ارتفع صوت واحد قوي لأنه يمثّل دولة قوية وبالتالي، عندما خرجت القوة السوفييتية من الصراع الدولي أو تم حييدها ثم تفتتت، فإن ذلك أعطى دعماً ضخماً لقوة الاتصال الاميركي وهيمنتها، وهذا الأمر على الرغم من أنه لا ينظر إليه على أنه شر كله، إلا أنه بلا شك يمثل نوعاً من الطغيان وفرض الثقافة الآحادية المنابع على دول العالم، وبالذات الدول الضعيفة التي لا تستطيع أن تسهم ولا أن ترفع صوتها ولا أن تبث ثقافتها، فيكون الأمر كله من جانب واحد ويعتم دائماً على أخبارها وعلى ثقافتها. وهذا النوع من التعتيم لا شك يصل إلى عقول الناشئة والتأثير في هويتهم وربما حتى في انتماءاتهم، وهذا الأمر على الرغم من خطورته، إلا أنه ما كان من الممكن أن يكون له كل هذا

الأثر الكبير لولا الأرضية الصالحة لاستقبال الغزو وهي ذلك المناخ الذي يعم الأمة العربية والإسلامية والذي يتّسم بالخلافات والتناقضات والانفعالات، ويخلق مجتمعاً فيه كثير من الانحلال ومن عدم وضوح الرؤية وعدم الثقة، إلى غير ذلك. إضافة إلى غياب الجدية والفاعلية، وكأننا عندما نقول إن الفاعل شيء والقابل شيء آخر، فإن هذا ينطبق علينا لأنه لولا القابلية لدينا لما أمكن التأثير فينا بهذه الدرجة وعلى هذا النحو.

من هنا، نرى أن الإعلام الإسلامي يقع ضحية أهله وأعدائه: أهله من ناحية عدم تعاونهم وعدم التفاتهم إلى أهمية هذه الأداة والتكنولوجيا الهامة خصوصاً في عصر الفضاء، والعالم الخارجي بما لديه من قوة وهيمنة يغزو بها عقولنا ويؤثر في حياتنا وخاصة في ناشئتنا ونحن لا حول لنا ولا قوة، بل نحن في بعض الأحيان للأسف نسهم في ترسيخ هذا الغزو وفي فتح المجالات المختلفة له، بسبب ضعفنا وانفعالاتنا وغياب الجدية والفعالية بيننا.

هناك إذاً جو مرتبك وغير صحي في إعلامنا الإسلامي، وهناك عدم تجاوب من ناحية أخرى مع برامجه لضعفها وعدم قدرتها على الوصول إلى أذهان الناس. ثم هناك قضية أخرى خطيرة بالنسبة للدول الفقيرة هي التكلفة العالية للتكنولوجيا والتي تعجز هذه الدول عن الوفاء بها، إضافة إلى أن هذه التكنولوجيا نفسها تباع بأثمان باهظة أكبر بكثير من تكلفتها للدول النامية، وذلك فقط بسبب غياب التعاون. فلو أن الدول العربية والإسلامية مجتمعة أرادت أن تشتري هذا النوع من التكنولوجيا أو ذاك لأمكن لها الحصول على تكلفة أقل هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن موقفنا من التكنولوجيا وإصرارنا على الاستمرار في شرائها فقط دون تعلمها أو دون تصنيعها، يزيد من هذه التكلفة ويحول دون حصول الدول الفقيرة عليها.

ولذلك، نحس أن هناك من يعتبر أن الدول العربية والإسلامية في مجملها دولٌ مريضة في إعلامها، وأن هذا الاعلام يسيء إليها في بعض الأحيان وليس

هناك ارتباط بينه وبين مجتمعه لغياب الصدقية والموضوعية والجدية فيه، حتى أن بعض الإحصاءات والدراسات التي عُملت لوحظ فيها أن المجتمع العربي والإسلامي في النماذج التي أجريت بعض الدراسات عليها أوضحت أن الإعلام لا يفي بحاجاته ولا يحقق طموحاته. وهناك فئة تذهب إلى حد اتهام الإعلام بأنه يخدع الناس وأنه لا يوثق فيه، ولهذا ينصرف الناس إلى الإعلامات الأخرى سواء لرغبتهم في الحصول على أخبار صحيحة، أو في الحصول على تقارير دولية وهنا تكمن الخطورة الكبيرة، لأن انصرافهم إلى وسائل الإعلام الخارجية يجعلهم صيداً لكل ما يبثه ذلك الإعلام من البلايا والرزايا والتشويهات لواقعنا وعقيدتنا وتاريخنا، إلى غير ذلك.

ومن ناحية أخرى، نلاحظ أن الحديث عن الإعلام الإسلامي يجب ألا يكون هو الإعلام الديني، أي أنه مجموعة البرامج والصحف ونحو ذلك التي تختص بالحديث عن الإسلام أو عن ذلك الجزء أو الحيز من كل وسيلة عندما يخصص الحديث عن الدين. فالحديث عن الإعلام الإسلامي ليس هو الإعلام الديني. وإنما هو أشمل من ذلك لأنه يمثل كل وسائل الإعلام التي تستخدم، وبالتالي وسائل الاتصال، ولكن ما يميزه هو أنه يتحدث عن الإسلام وبالإسلام وعلى أسس من الإسلام. وهو عندما نسميه إعلاماً إسلامياً، فإننا نعني أنه يتسم بأساسيات الإسلام.

وهناك مشكلة يعاني منها الإعلام الإسلامي أيضاً هي أنه يبث أكثر مما يتصل أي أنه ليس بينه وبين المجتمعات التي يعيش فيها تواصل واتصال دائم يجعلهم يحسون بأن هذا الإعلام منهم وإليهم ويتفاعل معهم، وفي هذا العصر الذي نعيش فيه هناك حاجة ملحة إلى تغيير وسائل الإعلام إلى وسائل اتصال مع الناس وتلمّس رغباتهم وحرص على تحقيق طموحاتهم في إطار من العمل الإسلامي.

والحقيقة، أن الانفصال الذي حصل بين الإعلام الإسلامي وبين مجتمعاته والذي حوّله إلى جهات مرسلة فقط غير متفاعلة مع الناس لا تستقبل من

المجتمع ولا تعرف رغباته ولا متطلباته هو أن هذا البث أصبح بثاً عشوائياً كما يقول الأستاذ يحيى أبو بكر: «في هذا المجال يضاعف الاستخدام الواسع النطاق الوسائل الجماهيرية ولكن تأثيره عشوائي وهناك إرسال لكن ليس هناك من يستقبله، وفي بعض الأحيان إرسال لا يعرف المرسلون شيئاً عمن يستقبلونه، فقط معلومات تعد وتبثّ وتنساب في كل اتجاه دون معرفة لأثرها وأبعادها وحجمها وحجم تأثيرها ومداه. هذا الانسياب الإعلامي العشوائي يضر في كثير من الأحيان بالعمل الإعلامي الإسلامي».

وهنا تأتي القضية المهمة، وهي أهمية أن يصبح الإعلام الإسلامي إعلاماً متكاملاً بكل غاياته، ويكون هدفه التأثير بالمفهوم الإعلامي الذي يلتزم بمبادىء الإسلام ومفاهيمه، وليس كما يلاحظ اليوم أن كثيراً من قنوات الإعلام التي تنتسب للإسلام هي قنوات غايتها التأثير لأهداف سياسية أو دعائية، فعندها تكون هذه الإعلامات غير مؤدية للهدف الإعلامي الأساسي.

ولا شك أن حق الاتصال كما عرّف هو حق الإنسان في أن يعرف، وحقه أيضاً في أن يعرف الناس عنه، ولا يصح أن تهيمن الدول الكبرى على الدول النامية وتفرض عليها إعلامها من جانب. وإذا كانت الدول تفرض على مشاهديها الرأي الذي تراه أو الخبر من وجهة النظر التي تراها، فكذلك ينبغي أن تكون وسائل الإعلام متجاوبة مع الناس تأخذ منهم وتعطيهم وتتفاعل معهم وتستمع إلى آرائهم، وهنا يكون معنى الإعلام الحقيقي أو الاتصال الحقيقي الذي لا يأتي من جانب واحد، ويبقي على ذلك التوازن المطلوب على الإعلام الإسلامي.

ولكن إذا اختل هذا الأمر، فإن هذا الاختلال دون شك يؤدي إلى ظاهرة الإعلام العمودي أو ما نسميه الرأسي، أي الإعلام الذي يمر في اتجاه واحد ويتضاءل دور الإعلام الأفقي المتبادل وتغيب تلك الميزة المطلوبة في الإعلام الذي يُبنى على أساس الاتصال، والإذاعة والتلفزيون يجب أن يتلقيا مثلما يبثان وأن يعطيا مستمعيهما الفرصة، ولا يجوز أن يبقياهم منصتين متلقين فقط، كما يجب أن لا ينعزلا عنهم.

«ومما يساعد على ذلك أن يُعنى الإعلام الإسلامي بدراسة جمهوره بأسلوب يعينه على التعرف إليه وإلى حاجاته، كما يعطي الجمهور انطباعاً بالاهتمام به وبأن له دوراً رئيسياً في العملية الاتصالية، ولا ينبغي أن نملّ أو أن نتوقف عن المطالبة دائماً بالمزيد من بحوث القراء والمستمعين والمشاهدين، وكذلك من الدراسات الخاصة بجمهور الاتصال المباشر بمختلف فئاتهم.

ومن المهم، إلى جانب دراسة الجمهور، أن يكون أول المواضيع الرئيسية التي تدرس بعناية فائقة وتعمّق كبير هو «الإسلام» نفسه وأحوال المسلمين عامة، بما في ذلك تاريخهم وثقافتهم، ومسلمو كل منطقة إسلامية أو بلد إسلامي. مع الرجوع في ذلك كله إلى المصادر الإسلامية الأصلية التي يعتبر الرجوع إليها في حد ذاته إحياءً لتراث إسلامي عريق، بالإضافة إلى أن فيه تأصيلاً للمعلومات وتصحيحاً للتشوهات التي ألصقت بالثقافة الإسلامية نتيجة لسوء فهم الغرباء لها وسوء نقل من قلدوهم»[1].

والحقيقة، أننا عندما نأتي أيضاً إلى أهمية تواصل الإعلام الإسلامي مع العالم الإسلامي ككل يأتي هنا سؤال هام، وهو:

«هل كان الإعلام الإسلامي غافلاً أو عاجزاً عن إقامة جسور وقنوات للاتصال بنحو ثمانين مليوناً من المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز؟ وهل حان الوقت لتوجه اتصالي سريع ومركز وإيجابي من منظور إسلامي إلى أهل هذه المنطقة وما حولها ليعرّفوهم ببقية المسلمين، وليروهم صورة صادقة عن الإسلام الذي ينتمون إليه، مع دراسة عميقة للفراغ الروحي الذي أوجده قيام مذهبية لا دينية متسلطة تم انهيارها، وكذلك للفراغ الروحي الذي أحاط بعزوف مجتمعات كثيرة في العالم كله عن الدين في جملته وضيقها بالمنحرفين من أدعياء الدين،

---

(١) الإعلام الإسلامي والنظام العالمي الجديد ـ الأستاذ يحيى أبو بكر ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

وما استتبعه هذا الفراغ الروحي من استغراق في المادية أو انزلاق إلى الرذيلة بمختلف صورها، وما كان لوسائل الاتصال من دور في ذلك كله؟»[1].

ونحن، عندما نتحدث عن الإعلام الإسلامي يجب أن ندرك طبيعة العصر الذي نحن فيه وذلك الدور الخطير الذي أصبح يؤديه ويلعبه الإعلام العالمي في صنع السياسة العالمية في التأثير على الجماهير، وفي بلورة مواقف دولية كثيرة لأن وسائل الاتصال الحديثة والتقدم التكنولوجي الضخم وفر للإعلام دوراً بارزاً وأساسياً في عملية تشكيل الوعي العام وفي صياغة الأحداث، وربما أيضاً في صناعتها، كما يقول الأخ الأستاذ فهمي هويدي.

حتى أنه ليبدو في بعض الأحيان أن المحصلة النهائية والعبرة ليست بما إذا كنت على حق أو على باطل في أي قضية، ولكن العبرة بقدرتك الإعلامية في إخراج الصورة ورسمها للإعلام بشكل حتى تبدو لدى المشاهد والمستمع بصور تتفق مع ما تهدف إليه أنت من حق أو باطل. وبذلك، فإن الإعلام أصبح يشكل الصورة النهائية للخبر والحدث، وقد لاحظنا ذلك في أكثر من تجربة من الأحداث التي مرّت بنا سواء في الجزائر، أو في أفغانستان، أو في الاتحاد السوفيتي (سابقاً)، أو في قضايا الشرق الأوسط، وكيف نجح الإعلام العالمي حتى في أن يضع في أفواهنا كلمات غير حقيقية، وأن يسرب إلى وكالات الأنباء عندنا وإلى أجهزة الأخبار صوراً غير حقيقية ولكنها مرسومة بدقة وموثقة بشكل يدعو إلى تصديقها، فأخذناها وأخذها الكثير من أجهزة الإعلام وأسهموا في غفلة في بثها وتوزيعها.

ولعل التجربة التي مرت بنا في الجزائر توضح كيف أن الإعلام حسمها لصالح القوة الرافضة للمشروع الإسلامي، وصوّر الإسلاميين على أنهم برابرة

---

(١) الإعلام الإسلامي والنظام العالمي الجديد ـ الأستاذ يحيى أبو بكر ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

وعلى أنهم قتلة، إلى غير ذلك دون أن يتيح لهم فرصة حق الدفاع عن أنفسهم.

من هنا تأتي خطورة هذه القضية وخطورة عدم أخذ الإعلام الإسلامي دوراً رئيسياً وعدم أخذه بأسباب التقدم الذي حصل في العالم، وعدم امتطائه لهذه التكنولوجيا الحديثة واستغلالها لصالح الإعلام الإسلامي.

ونحن عندما نتحدث عن قدرة الإعلام العالمي على تشويه صورنا لا نعني بطبيعة الحال أننا لم نخطىء وقد أخطأنا، ولكن ما يلاحظ هو أننا عندما نخطىء يستخدم الآخرون هذا الخطأ العابر والبسيط فيهيجوا الرأي العام ويقلّبوه ضدنا حتى بين أهلنا وداخل بلادنا.

«نعم، ينبغي أن نعترف بأننا ارتكبنا أخطاء سياسية أو فكرية استخدمها الآخرون في تهييج العالم وتقليب الرأي العام في كل مكان ضدنا، حتى بين أهلينا وفي داخل أقطارنا، لكننا أيضاً ينبغي أن نذكر أنهم مارسوا بحقنا قدراً لا يستهان به من الظلم والافتراء لتشويه حقيقة الظاهرة الإسلامية وتقديمها في أتعس صورة ممكنة.

لقد اختلقوا الكثير ونسبوه إلينا، وبالغوا في تقديم أخطائنا، بعدما تصيدوها وتربصوا بنا، وسلطوا كل الأضواء على تلك الأخطاء، حتى لم يذكروا لنا حسنة أو فضيلة. وحين أخطأ غيرنا ـ مثلنا ـ فإن أخطاءنا وحدها التي أبرزت وروّج لها في أنحاء العالم، في حين سكت عن غيرنا، وربما غفر لهم.

في مواجهة ذلك كله، فلا مفر من الاعتراف بأن الإعلام المعبر عن الحالة الإسلامية كان، ولا يزال، دون مستوى تلك الحالة المتنامية تلك هي القاعدة، والاستثناء نادر ولا حكم له، وهي مفارقة جديرة بالدراسة والتحقيق، حيث لم تستطع تلك الحالة الإسلامية برغم كل ما أنجزته على صعيد الشارع الإسلامي أن تثبت أي حضور له قيمته في الساحة الإعلامية، وفيما تمضي مؤشرات تلك الحالة باتجاه الصعود، فإن مؤشرات التعبير الإعلامي عنها تتذبذب بين الثبات

والتقدم البطيء أو التراجع حتى بدا الجسم الإسلامي كبيراً، بينما صورته مشوهة ولسانه متعثر أو عاجز»[1].

والإعلام العالمي اليوم بطبيعة الحال، للأسف، أخذ دوراً حتى في إبراز الرجال والجماعات التافهة ووضعها في واجهة المجتمع وجعل صوتها عالياً جداً. ونجد في بعض الأحيان أن هناك جماعات سياسية ولنأخذ مثلاً الماركسيين، هذه الجماعة ليس لها أي حضور كبير في الشارع العربي، ومع ذلك تجد أن الإعلام يساعدها على أن يكون صوتها عالياً وملحوظاً وأثرها في الساحة الإعلامية ملموساً، وهذا بطبيعة الحال ما يُلاحظ في بلاد مثل مصر في بعض الأوقات. كانت بعض الأحزاب اليسارية على الرغم من عدم وجود حضور يذكر لها في المجتمع المصري، أو في الشارع المصري، وعدم وجود قيمة سياسية كبيرة لها أو وزن، ولكنها تسيطر على بعض الصحافة أو على بعض وسائل الإعلام، فيكون صوتها عالياً ويساعدها هذا التكتل الإعلامي في أن تثير الكثير من الضوضاء وتحاول أن تصور الأمور بغير شكلها لمجرد سيطرتها على القدرات الإعلامية.

ولهذا، فإننا قد نخلص إلى قضية مهمة هي، أننا عندما نتحدث عن الإعلام الإسلامي، إنما نتحدث عن الواقع الإسلامي والذي لا ينفصل عنه أبداً.

«إن الإعلام الإسلامي يظل جزءاً من الواقع الإسلامي لا ينفصل عنه، ومن ثم فإن تقدم ذلك الواقع أو تخلفه ينعكس بصورة مباشرة على أدوات التعبير عنه، والإعلام في المقدمة منها.

إن تقييمنا لموقف الإعلام أو الصحافة الإسلامية قد يختلف من بلد إلى آخر فما يسري على الدول الملتزمة بالإسلام قد لا يسري على غيرها، وما يصدر عن دول يمارس العمل الإسلامي دوره بصورة شرعية وعلنية، وقد يختلف عن ذلك

---

(١) مشكلات الصحافة الإسلامية ـ الأستاذ فهمي هويدي ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

الذي يصدر في دول أخرى يحارب في ظلها العمل الإسلامي ويتحرك خارج الشرعية، وإذ نحاول هنا التركيز على ما هو مشترك في المجتمعات الإسلامية لكننا نرجو ألا تغيب تلك الملاحظة عن البال»[1].

ثم علينا ألا ننسى أن قضية الحرية في المجال الإعلامي قضية مهمة وهي الحرية التي تلتزم بمبادىء الإسلام التي علمها لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ومن المهم جداً بلا شك أن تكون هناك حرية يتمتع بها رجل الإعلام في الإذاعة والتلفزيون والصحافة، وأن يكون مدركاً لأبعاد هذه الحرية ولأهميتها ولطريقة توظيفها في خدمة العمل الإسلامي وخدمة الأمة الإسلامية وخدمة بلاده ووطنه، وحدود ومسؤولية هذه الحرية.

«ان الحرية هي المناخ الوحيد الذي يزدهر الإعلام في ظلّه، وإذا كانت فنون الإعلام تؤدّي دوراً ضخماً في التأثير وتشكيل الوعي، فإن الحرية هي التي تسمح لذلك الوعي بأن يتشكّل على نحو صحيح، من حيث أننا في هذه الحالة نتيح فرصة عرض مختلف الآراء على الناس، ونمكّنهم بالتالي من الانحياز إلى ما يقتنعون به وليس إلى ما يفرض عليهم.

إن الإعلام في تطوره المثير الراهن لم يعد يؤدّي دوره فقط في نطاق المعلومات والمعارف، ولكنه أصبح يمارس دوراً مماثلاً في مجال التأثير على القيم والتقاليد وخلق العادات. وما إعلانات السلع التي تبثها قنوات التلفزيون إلا نموذجاً من نماذج ذلك النوع من التأثير، الأمر الذي يعزّز من خطورة ـ وفعالية الآلة الإعلامية ـ ويبيّن مدى الخسارة التي تلحق بالمسلمين من جراء تخلّفهم في ذلك الميدان أو غيابهم عنه»[2].

---

(١) مشكلات الصحافة الإسلامية ـ الأستاذ فهمي هويدي ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

(٢) مشكلات الصحافة الإسلامية ـ الأستاذ فهمي هويدي ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

وبالجملة، فإننا نؤكد اليوم أننا أمام تحدٍّ عظيم كما ذكرت، مصدره هذا التطور المتسارع المثير في مجال ثورة المعلومات وثورة الاتصال واتساع المعارف، وما أصبحنا نراه من دور يمارسه الإعلام في التأثير على الناس وعلى قيمها وعلى تقاليدها وفي أخلاقها وعاداتها، وهنا تكمن خطورته وأثره الكبيرين على صناعة الأجيال وعلى التأثير على أفكار الناس. وكلما اتسع مجال البث المباشر والذي سيصبح في السنوات القليلة القادمة في متناول الجميع بدون حتى أجهزة استقبال أو صحون الاستقبال الكبيرة، بل سيكون في متناول الرجل العادي بجهاز ربما ترانزستور صغير الذي تسعى اليابان إلى تصنيعه، وبهذا صار هذا البث يتجاوز كل محطات التلفزيون ويصل إلى منازلنا ويدعونا إلى أهمية المسارعة في تنمية قدراتنا التلفزيونية في إيجاد البدائل الصحيحة وفي تثقيف أبنائنا وتوعيتهم بأبعاد هذا البث القادم حتى يستطيعوا الصمود أمامه، وإلا إذا لم نوجد هذه البدائل وإذا لم نتعامل معه بصورة فاعلة وحضارية، فلا شك أن الجماهير سوف تنصرف عنا وتبحث عن بديل آخر في مجالات الإعلام العالمي الذي يصلها في يسر وسهولة، وبإغراء وفعالية وتشويق كبير جداً.

إن اتساع نطاق البث المباشر الذي صار يمكّن محطات التلفزيون العالمية من تجاوز الحدود البعيدة واقتحام واقعنا الإسلامي يلفت أنظارنا إلى ضرورة المسارعة إلى تنمية قدراتنا التلفزيونية بوجه أخص، حتى تصبح قادرة على الصمود في مواجهة ذلك الغزو الجديد، وإلا فإن الجماهير سوف تنصرف عنها، لتجد زادها ومتعتها في ذلك البث المباشر.

ونحن نقيّم موقفنا ونتحدث عن تطلعاتنا في المجال الإعلامي، فإننا نفضل أن نركّز على الشق المتعلّق بمسؤوليتنا ومشكلاتنا، وأن نمارس في ذلك نوعاً من النقد الذاتي، ونحن ندرك أن الآخرين ـ كما أسلفنا ـ لهم دور بصورة أو أخرى في الوضع الذي انتهى إليه حالنا، وفي الصورة السلبية المرسومة لنا في العالم الخارجي. ولكني أحسب أن ذلك هو موقفهم الطبيعي، باعتبار ما

يحركهم من مصالح أو حسابات حضارية أو عقائدية، ثم إننا لسنا في موقف يسمح لنا لا بحسابهم على مسلكهم ذاك ولا بتصحيح ذلك المسلك»[1].

وإذاً، فالمسؤولية تقع علينا في تدارك أبعاد الوضع الإعلامي في بلادنا وإدراك أن هناك قضايا أساسية يجب أن نهتم به وأن نعدلها في مسار الإعلام، منها كما ذكرنا قضية أزمة الحرية في العالم الإسلامي وفي وسائل الإعلام على وجه الخصوص وعدم الاعتماد على الرقابة وجعلها هي البعبع الذي يخيف الناس، ولأن نعلمهم الحرية وطريقة استعمالها وأبعادها وأهميتها خير من أن نمنعهم ونفرض عليهم نوعاً من الحصار، لأن هذا لن يسهم بأي حال من الأحوال في نمو الفكر ولا الممارسة الإعلامية. وكلما كانت الحكومات أو جماعات معيّنة تريد الجميع أن يسير وفق خطها الفكري أو السياسي، ضيّقت على الناس ودفعتهم إلى كراهية النظام، فما أجمل أن نعود إلى الخط الإسلامي الذي نؤمن به جميعاً ونحترمه جميعاً وهذا أفضل، لأن أي التزام أو إلزام بالخط السياسي لمجموعة أو دولة معينة أو فكر معين إنما يعكس نموذج الانفصال بين حقيقة الإعلام وما يجب أن يكون عليه وطبيعة الرسالة التي يؤديها، وبين الواقع الضيق الذي تريد المجموعة أن يسير عليه إعلامها وهذا يسيء إلى العمل الإعلامي بلا شك ويوجد مناخاً غير صحي بين المتلقين وبين الجهات التي تمارس العملية الإعلامية، ويؤدي إلى فقدان الثقة وانصراف الناس عن هذا النوع من الإعلام.

وهناك قضية مهمة جداً أيضاً وهي قضية التدريب والعناية بتأهيل هؤلاء الرجال في الإعلام عندنا لأننا في كثير من المجالات، وخاصة في مجال الأخبار نجد أن رجاله ليست لديهم القدرة على صياغة الخبر، وكذلك نجدهم يغرقون في مقالات وأحاديث مطولة وليس لديهم لا في الإذاعة ولا في التلفزيون ولا حتى في الصحافة القدرة على صناعة الخبر أو على معالجة الحدث بصورة مركزة.

---

(١) مشكلات الصحافة الإسلامية ـ الأستاذ فهمي هويدي ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

وبهذا انتقلت حتى صحافتنا لتكون صحافة المقالات المطولة ولم يعد في الناس من يتحمل كل هذا الغث وخصوصاً إذا ما تحولت إلى خطابة. فإذا ما نظرت إلى كثير من الصحف التي تتحدث باسم الإسلام بصورة خاصة، نجد أن كثيراً منها اتجه إلى أسلوب الخطب والمواعظ وهذا يضيع عليه الفرصة في مجال التوزيع وإقبال الناس، إلا الخاصة منهم، على هذا النوع من المقالات على العكس مما لو استطاع أن ينافس الصحافة العالمية وأن يكون منافساً في مجال الخبر وإعداده والمقال والحدث إلى غير ذلك، وهذا بلا شك يؤدي إلى نتائج أفضل حتى من الزاوية المهنية.

ومن المهم أن نوظف أي كفاءات ممكنة لدعم حركة الإعلام الإسلامي، وليس من الضرورة أن يكونوا من رجال الدين أو من رجال الخطابة، لأنني أريد أن أستفيد من الرجل الكفؤ الذي يؤدي هذه المهمة خصوصاً في مجال التوزيع والنشر والإعداد إلى غير ذلك، لأن هذا الإعلام أصبح مهنة لها قواعدها ولها أصولها ولها أساليبها وفنونها، فيجب أن نهتم به في هذا المجال.

وهذا يقودنا إلى أزمة الكوادر التي تحدثنا عنها فما لم نبنِ كوادر جيّدة مؤهلة، فإننا لا نستطيع أن ننافس بإعلامنا وسنظل ندور في حلقة مفرغة وتكون برامجنا ضعيفة ومحنطة، وصحافتنا ضعيفة غير قادرة على المنافسة ما لم تؤهل الرجال القادرين على العمل في هذه المجالات.

وما يدل على ذلك هو هذه المؤسسات الإسلامية ومؤسسات الإذاعة ووكالات الأنباء الإسلامية ومؤسسات التلفزيون إلى غير ذلك، وكلها متواجدة ومع ذلك فأدوارها محدودة لأنه ينقصها الكوادر المؤهلة وينقصها الدعم وينقصها المناخ الحر للعمل، وهذا ما أدى بنا إلى أننا أصبحنا نتابع أخبار العالم الإسلامي في كثير من الأحيان من خلال الوكالات الغربية التي تفرض علينا كما ذكرت رأياً أو فكراً معيناً.

ولا شك أن من واجبنا أن لا نبخل في الصرف على الإعلام الإسلامي في

بلادنا لأن هذه صناعة مكلفة وأصبحت هناك منافسة عالمية وأصبحت هناك متطلبات أساسية من الأجهزة والتكنولوجيا. فكلما شحّت مواردنا المالية ضعف إعلامنا ولا يستطيع أن ينافس. ولهذا نجد، أن الفقر كما يقول الأستاذ فهمي هويدي: «هو الصفة الغالبة في الصحف الإسلامية، فقر في الموارد، فقر في المعلومات، فقر في الكوادر وعموماً الوعي بالعمل الإسلامي ذاته فقير، فهذا ما يؤدي إلى ضعف العمل الإسلامي وعدم إنتاجيته وعدم قدرته على المنافسة أو حتى على استقطاب المسلين في البلاد الإسلامية».

وضعف الموارد أيضاً يضاف إليه ضعف القدرة على التوزيع، لأن الصحيفة إذا كانت فقيرة ولا تستطيع أن توظف الكوادر المؤهلة ولا تستطيع أن تنتج إنتاجاً جيداً، فإن هذا يجعلها عاجزة عن التوزيع وأصلاً تكون مواردها محدودة ولا تمكّنها من الانتشار المطلوب.

ثم نأتي إلى قضية مهمة وهي تأهيل الكوادر الإعلامية التي ذكرناها في السابق، وهذه قضية ـ في رأيي ـ في مجال الإعلام الإسلامي يجب الالتفات إليها والعناية بها.

«ولا شك أن أفضل استثمار في الحياة هو استثمار الثروة البشرية عن طريق التأهيل والتدريب لتنمية قدراتها للاستفادة القصوى من كل فرد مؤهل ومدرب بعد وضعه في المكان الذي يناسب قدراته. وإذا كان الإعلام هو عصب الحياة في عصر «ثورة المعرفة والمعلومات» الذي نعيشه بفضل التقدم الهائل في تكنولوجيا وسائل الاتصال، فإن العنصر البشري هو محور الارتكاز في أجهزة الإعلام وهو الوسيلة والهدف لكل عمليات التنمية والارتقاء، خاصة إذا كنا نريد لهذه الأجهزة أن تلعب دوراً فعالاً في سبيل تنمية المجتمعات التي تسعى لتحقيق التقدم واللحاق بركب الحضارة المذهل الذي يسود العالم في جميع المجالات العلمية والفكرية، غير غافلين للنواحي الوجدانية والروحية التي تميز مجتمعاتنا الإسلامية عن غيرها من المجتمعات.

لهذا، فإن تأهيل الإعلاميين وتدريبهم يعدّ من الأهمية بمكان لفهم الدور الملقى على عاتقهم عند التوجه إلى الجماهير بالرسائل الإعلامية المختلفة لكي يكونوا على مستوى المسؤولية التي يتصدّون لها»[1].

وعندما نتحدث عن التدريب في الحقيقة، لا بد أن نؤكد على أن الإعداد الأكاديمي العلمي المتخصّص أصبح ضرورة لكل رجل يريد أن يدخل في المجال الإعلامي وأن يقبل فيه، وعلينا أن نحرص على أن تكون البرامج التعليمية التي تعدّ هؤلاء الرجال أكاديمياً تأخذ في اعتبارها طبيعة الدور الذي سيقومون به أخلاقياً وثقافياً وتأهيلياً، بحيث أن تكون لديهم التربية الإسلامية الكافية والتأهيل العلمي والتدريب اللازم والإعداد الأكاديمي المطلوب، حتى يستطيعوا النهوض بهذه الأعباء التي ستلقى على عاتقهم.

وهناك مقومات أساسية لا بد أن نأخذها في الاعتبار، من أهمها أن يكون الرجل الإعلامي قادراً على النطق السليم والأداء الجيّد، وأن يصوغ المعلومات صياغة إعلامية مهنية، وأن يكون له مظهر لائق، إلى غير ذلك من الأمور الأساسية التي يتطلبها العمل في هذه المجالات. ولا شك أننا يجب أن نأخذ الموهبة في الاعتبار والقدرات اللازمة للعمل الإعلامي، ولكن في الوقت نفسه، ندرك أن التدريب على رأس العمل مهم جداً، وأننا بعد أن أهّلنا الإنسان تأهيلاً أكاديمياً جيداً يجب أيضاً أن نستمر في تدريبه أثناء العمل حتى يستطيع أن يكون على

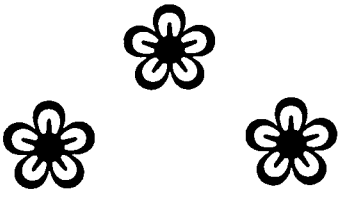

(١) تأهيل الكوادر الإعلامية ـ د. فوزية فهيم ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

حملات التنصير
من خلال الإعلام

تعتبر الحملات الإرسالية التنصيرية بما يدعمها من قوى اقتصادية وسياسية أحد التحديات الهامة التي تواجه الإعلام الإسلامي بأسلوب مكثّف ومتطور.

ولا شك، من الناحية الأخرى، أن سيطرة الدول الغربية على وكالات الأنباء يجعل لها أثراً كبيراً في التأثير حتى على المناخ الاقتصادي في تلك الدول، وتؤثر على علمية اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي الذي يعتمد على ما هو متوافر من معلومات تتدفق من هذه المصادر: «كما تؤثّر هذه الوكالات على الأوضاع الاقتصادية في العالم. فيرى بعض الخبراء أن الخدمة الإخبارية الاقتصادية التي تقدّمها وكالة رويتر البريطانية تعتبر سوقاً مالية في حد ذاتها حيث تؤثر على حركة تداول الأسهم والسندات وأسعار العملات والمحاصيل في بورصات العالم.

وفي الوقت نفسه، فإن سيطرة الغرب على الفضاء من خلال الكم الهائل من الأقمار الصناعية الأوروبية والأميركية بالإضافة إلى أقمار البث المباشر، قد أضاف إلى الاتصال الغربي قوة لا يستهان بها في مجال التأثير بالصوت والصورة معاً»[1].

---

(١) الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين ـ أ. د. علي عجوة ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

ومن الناحية الأخرى، يأتي تأثير الإذاعات والتلفزيونات الموجهة في النواحي الدينية، وهذه لها تأثير عظيم وخطير خصوصاً أنها مركزة وبلغات مختلفة.

«أما عن الإذاعات الموجهة إلى العالم كله من الدول الغربية بلغات عديدة فتضيف هي الأخرى قوة إضافية إلى الاتصال الغربي الفعال على المستوى الفكري والسياسي في المقام الأول، وعلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية نتيجة للتأثير الأول، ويضاف إلى الإذاعات العامة إذاعات دينية موجّهة إلى مختلف مناطق العالم.

فهناك اتحادات إذاعية مسيحية دولية، أهمها:

أ ـ الرابطة الدولية الكاثوليكية للراديو والتلفزيون.

ب ـ الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية.

ج ـ الرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين.

د ـ المنظمة الدولية للإعلام المسيحي.

وتضم هذه الاتحادات العديد من مؤسسات الإذاعة والتلفزيون في مختلف مناطق العالم المسيحي، ويمكن القول بصفة عامة، أن أهدافها الأساسية تتمثل في:

١ ـ تحقيق وتنشيط التعاون بين المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية المسيحية في مختلف المجالات.

٢ ـ توفير وتبادل المعلومات بين المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية المسيحية.

٣ ـ زيادة فاعلية المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية في سياق جهودها الهادفة إلى نشر الديانة المسيحية.

٤ ـ توسيع نطاق عمل المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية على المستوى الدولي وعلى أوسع نطاق ممكن.

٥ - تحقيق التعاون بين المؤسسات الأخرى بما يخدم هدف نشر الديانة المسيحية.

٦ - توفير المجال لمناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك سواء بين الأعضاء أو غيرهم من المؤسسات ذات الشأن.

٧ - القيام بالدراسة والأبحاث التي تساعد على فعالية الدعاية المسيحية.

٨ - التعريف بالمنظمات المسيحية في المجالات المختلفة، وإقامة شبكة من الاتصالات بينها، وتوجه الجهود الإذاعية المسيحية إلى أفريقيا على سبيل المثال من خلال القنوات الثلاث التالية:

أ - مراكز واستديوهات الإنتاج.

ب - الأقسام الدينية في الإذاعات الحكومية.

ج - الإذاعات الدولية المسيحية.

ومن أبرز مراكز واستديوهات الإنتاج مركز الإنتاج الموجود في زامبيا، ويقوم بإنتاج المواد الدينية اللازمة لجميع وسائل الاتصال، وقد أنشأته الهيئة التنصيرية عام ١٩٧٠، ويعمل بالتنسيق مع حكومة زامبيا والهيئات الكنسية المحلية والدولية، وكذلك يقوم مركز «تليستار» في زائير بإنتاج برامج تنموية في مجالات التعليم والصحة والزراعة من منظور مسيحي، ويضم قسمين أحدهما لإنتاج مواد الراديو، والآخر لإنتاج مواد الفيديو»[1].

ثم إننا نلاحظ كيف انتشرت أقسام الدين في معظم الاذاعات الافريقية: «ويوجد قسم ديني في معظم إذاعات الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء يعمل بالتنسيق مع المسؤولين عن التنصير في هذه البلاد، وينقل القائمون

---

(١) الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين - أ. د. علي عجوة - من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل - القاهرة - ذو القعدة ١٤١٢ هـ - مايو ١٩٩٢م.

بالاتصال في هذه الاقسام من المنصّرين أو من الأفارقة الذين تلقّوا تعليماً دينياً داخل أفريقيا أو خارجها.

ومن أشهر الإذاعات المسيحية الموجهة إلى أفريقيا إذاعة «بالحب الأبدي نكسب أفريقيا» (Eternal Love Winning Africa) وكذلك إذاعة صوت الإنجيل (Voice Of Gospel) وإذاعة كورداك، أما الإذاعات التي توجه إلى العالم كله فهي إذاعة حول العالم، وراديو الفاتيكان.

وإلى جانب الاذاعات الدينية تقوم الكنيسة في الدول الأفريقية بجهود التبشير من خلال الخدمات الصحية والتعليمية وتوزيع المنشورات والكتب والصحافة المدرسية»[1]

ومن دراسة قدمها الأستاذ أحمد فراج إلى منظمة إذاعات الدول الإسلامية في عام ١٩٨٦م عن الإذاعات التنصيرية، تعرّض لنوعيات الجماهير المستهدفة بحملات التنصير الإذاعي واختلاف ثقافاتها وعقائدها وتباين الدوافع إلى توجيه الحملات التبشيرية وتباين مصادرها بروتستانتية وكاثوليكية والجمهور المستهدف مسيحياً كان أو مسلماً، والوسائل المستخدمة والأساليب والمحتوى والتنظيم المركزي واللامركزي لتلك الحملات، ودور المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية المتخصّصة والتكنولوجية المستخدمة.

وأوضح الأستاذ فراج في الدراسة المشار إليها أن الاذاعات التنصيرية تتحدث الآن بأكثر من ثماني لغات، وتنطلق من مراكز إرسال موزعة على مناطق العالم المختلفة حيثما كان هناك سبيل لاستخدامها، وماذا هي فاعلة بملايين المسلمين في غياب أدوار واعية لإذاعات إسلامية متعددة أو إذاعة إسلامية متفق على تدعيمها.

---

(١) الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين ـ أ. د. علي عجوة ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

الجمهور المستهدف:

يتضح من استقراء المادة المتاحة عن التخطيط للإذاعات التبشيرية، على جانبيها الكاثوليكي والبروتستانتي، أنها تستهدف نوعين من جماهير المستمعين والمشاهدين.

النوع الأول هو الجمهور العام، أي كل من يتاح له أن يستمع إلى الراديو أو يشاهد برامج التلفزيون في أي وقت وفي أي مكان. وعلى الرغم من اهتمام مخططي الإذاعات التبشيرية بهذه الفئة العريضة، فهي لا تحظى بأعلى مقام في سلم الأولويات. وهم يعتبرون الوصول إليها هدفاً ثانوياً، إلا في بعض الأنشطة التلفزيونية الكنسية الجماهيرية في الولايات المتحدة حيث تتحوّل برامج التلفزيون إلى كنيسة أعضاؤها هم مشاهدوها وممولوها، وينقادون انقياداً كاملاً إلى القساوسة الذين يوجهونها. وهذا نمط فريد من الإذاعات الدينية يخاطب جمهوراً بأكلمه في الوقت نفسه ويسعى إلى تكوين «عشيرة» من هذا الجمهور تدين له بالولاء والسمع والطاعة.

أما **النوع الثاني**، فهو قادة الرأي على مستويات محددة، في القرية أو في المدينة، وفي مجال مهنة أو حرفة معينة، أو نشاط سياسي أو ثقافي أو اقتصادي أو اجتماعي معيّن. وهؤلاء **القادة**، سواء كانوا مسيحيين أو غير مسيحيين هم الهدف المباشر للإذاعات الدينية.

فالنوع الأول يعتمد على **سذاجة** الجمهور العريض وميله إلى الانقياد، والنوع الثاني يعتمد على **خواص القيادة** لدى فئات معينة وقدرتها على الاقناع إذا أتيح لها أن تقتنع، فالجمهور الأول عاطفي والثاني فكري بنسب متفاوته بالطبع، والاتصال هنا يتم على مرحلتين، ولو أنه يخاطب الفئتين معاً.

ومخططو هذه الإذاعة على المستوى العالمي والمحلي يضعون هذه الحقائق في اعتبارهم، ويختارون المادة المذاعة، وأسلوب الإخراج والإذاعة، ومدى

انتشار الإرسال، وتوقيت الإرسال بمراعاة دقيقة لهذين النوعين من فئات الجمهور.

وعلى سبيل المثال، تقدم الإذاعات التبشيرية برامجها الموجهة إلى القادة، أي إلى الدعاة المحليين، دون أن تخاطبهم بهذه الصفة، في أوقات متأخرة من الليل، وهي أوقات لا يتاح للجمهور العادي أن يستمع فيها إلى هذه البرامج. ويغلب عليها الطابع الفكري، وقد تنطوي على تعليمات «مقنعة» بشأن الأسلوب والمحتوى، مع معلومات يستفيد بها هؤلاء الدعاة المحليون في القيام بنشاطهم التبشيري عن طريق الاتصال المباشر. لكن لا بأس إذا استمع إليهم جمهور آخر غير هذه الفئة القيادية المستهدفة أساساً.

ونستطيع أن نستنتج من هذا التقسيم أن الاذاعات التبشيرية، تتجه أولاً إلى جمهور من الدعاة لتزويدهم بالمعلومات أو إعدادهم للقيام بمهمتهم التبشيرية، وذلك في الوقت الذي تخاطب فيه جمهوراً عريضاً عاماً يستجيب لها عاطفياً. وهؤلاء الدعاة يكونون في أغلب الأحوال «متطوعين» لم يكلفهم أحد بمهمة ما ولكنهم من ذوي الميول القيادية، ويندفعون ذاتياً وتلقائياً، إذا أتيحت لهم الفرصة للقيام بمهام الدعوة أو التبشير. كما الإذاعات التبشيرية تتجه بالدعوة مباشرة إلى الجمهور العريض حيثما كان ومهما كانت عقيدته.

وإذا نظرنا إلى خريطة انتشار الإذاعات الدينية التبشيرية، جغرافياً وبشرياً، فسنجدها تتدفق من أكثر من مركز في أكثر من اتجاه.

ونلمس أكبر قدر من التدفق كمّاً وكيفاً في الاتجاه القادم من أوروبا إلى مناطق التركيز الإسلامي في القارتين الأفريقية والآسيوية. وبعبارة أخرى، فإن الجمهور المستهدف في هذه الحالة هو المسلمون بوجه عام ومن يستطيعون التأثير على جماهير المسلمين بوجه خاص. والمصدر الذي تتدفق منه هذه الإذاعات إلى هذا الجمهور المسلم قد يكون بروتستانتياً أو كاثوليكياً، وإن كانت المصادر البروتستانتية أكثر نشاطاً في هذا المجال.

هناك أيضاً إذاعات مسيحية موجهة إلى شرق أوروبا في عمل دعائي موجه ضد الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وهناك إذاعات مسيحية أخرى تستهدف تثبيت أركان المذهب الكاثوليكي في أميركا اللاتينية، وإذاعات بروتستانتية تستهدف زعزعة العقيدة الكاثوليكية في نفوس معتنقيها، أو تثبيت العقائد البروتستانتية في أوروبا وأميركا الشمالية ولدى معتنقيها في آسيا وأفريقيا.

كذلك نجد جانباً كبيراً من هذا النشاط الإذاعي موجهاً إلى غير المسيحيين وغير المسلمين في أفريقيا وجنوب شرق آسيا لتحويلهم إلى العقيدة المسيحية، بروتستانتية أو كاثوليكية، حسب المصدر الذي تتدفق منه هذه الإذاعات، في سباق محموم مع انتشار الإسلام في هذه المناطق.

فهناك إذن مساران لهما أهميتهما الخاصة بالنسبة للمسلمين: الأول، التدفق الإذاعي إلى جماهير المسلمين في بلادهم، والثاني هو التدفق الإذاعي لعرقلة انتشار الإسلام والتبشير بالمسيحية.

مواقع التخطيط للإذاعات التبشيرية:

تتناول هذه العجالة المراكز التي يتم فيها تخطيط الإذاعات التبشيرية على المستوى العالمي. وتضطلع هذه المراكز بمهمة وضع الإطار العام للنشاط التبشيري. وفي هذا المجال يعمل البروتستانت والكاثوليك كل على حدة، وإن اتجهت إذاعاتهم فيما يتعلق بالمسلمين إلى المناطق نفسها. وهذه المراكز لا تضع تفاصيل البرامج، ولكنها تحدد الأهداف والخط الرئيسي الذي تنتهجه برامجها، وبعض منها شديد المركزية كما هو الحال في الكنيسة الكاثوليكية. بينما يتبع البعض الآخر، وخاصة المراكز البروتستانتية سياسة لامركزية مع أسلوب مرن في التنفيذ وفقاً للظروف المحلية في كل منطقة.

ويتبع كلاً من هذه المراكز مركزٌ للمعلومات ويزوَّد بالبيانات عن كل منطقة وبنتائج البحوث والدراسات في المجال الإذاعي.

وفيما يلي بيان موجز بالمراكز الرئيسية لتخطيط التبشير الإذاعي في العالم، مع العناية بوجه خاص بالإذاعات الموجهة إلى المناطق الإسلامية أو المناطق المؤهلة لانتشار الإسلام.

- **المركز الرئيسي لراديو الفاتيكان**، وهو تحت الإشراف والتوجيه المباشر من البابا. ويموله الكرسي البابوي من ميزانية الدعوة والتبشير، وتتبعه إدارات للتخطيط الديني وتخطيط البرامج والتخطيط الهندسي والتخطيط الإداري. ويعمل هذا المركز بالتعاون الوثيق مع مكتب الاتصال لمؤتمر الأساقفة في تحديد دور الكنيسة الكاثوليكية في الإذاعات التبشيرية. وتتبعه لجنتان رئيسيتان إحداهما للراديو والأخرى للتلفزيون، كما يتعاون مع المعهد الكاثوليكي لمعلومات الاتصال (قسمي الراديو والتلفزيون).

- **اللجان الإقليمية للإذاعات الكاثوليكية** في أوروبا وأفريقيا وجنوب شرق آسيا.

- **الاتحاد الدولي الكاثوليكي للراديو والتلفزيون** Association Catholique Internationale pour la Radio et la Television، والمقر الرئيسي لهذا الاتحاد في بلجيكا ويخطط للأنشطة الموجهة إلى: مصر والسودان وتشاد ومالي وموريشيوس وغينيا وجامبيا ولبنان وباكستان وبنجلاديش والهند وأندونيسيا وسري لانكا والفيليبين، بالإضافة إلى عدة دول في أفريقيا وآسيا وأميركا الشمالية وأميركا اللاتينية وأوروبا، وتتبعه عشرون منظمة فرعية.

- **مجلس الكنائس العالمي، والمجالس الإقليمية التي تتبعه** ويعطي توجيهات على المستوى العالمي في مجال التعاون بين الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية (بقدر ما تسمح به ظروف كل من الفئتين) في المجال المشترك **للتبشير المسيحي** عن طريق الراديو والتلفزيون.

- **الإرسالية الإنجيلية للراديو** تخطط من مركزين، أحدهما في أوروبا

(للشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا)، والآخر في الولايات المتحدة للأميركتين، وهي التي تسمى إذاعاتها «المسيح يحيا» وتنسق نشاطها مع إذاعة حول العالم.

- **المركز الرئيسي للإذاعة الإنجيلية الدولية**، يخطط هذا المركز لأكبر نشاط تبشيري في العالم ويدير من مونت كارلو في موناكو شبكة إذاعية تنتشر فروعها ومراكز إرسالها في مختلف مناطق العالم. وهو المسؤول مباشرة عن «إذاعة حول العالم» وتتبعه لجان إقليمية للراديو والتلفزيون. ويشرف عليه تنظيم دولي يسمى إرسالية الراديو الدولية» International Radio Mission Corporation.

- **مؤتمر كنائس عموم أفريقيا** All Africa Conference of Churches بفرعيه في شرق القارة المتحدث بالانجليزية، وغربها المتحدث بالفرنسية ويخطط إقليمياً للإذاعات التبشيرية في القارة الأفريقية.

وإذا تتبعنا جذور هذه الأجهزة التخطيطية، فسنجدها في النهاية تشكل تنظيمين أحدهما كاثوليكي والآخر بروتستانتي، ولكنهما، فيما يتعلق بالمنطقة الإسلامية وفي نظرتهما إلى انتشار الإسلام، يعطيان لأجهزتهما التنفيذية ما يمكن أن نعتبره خطّاً دعائياً مشتركاً، هو الذي تبنى عليه مختلف الرسائل الإذاعية مهما كان توجهها، ألا وهو أن المسيحية هي الحل الأمثل لمختلف العلل الاجتماعية التي يشكو منها العالم بأسره، كما أن فيها «الخلاص» في الدنيا والآخرة. وتنتهي مختلف الطرق التي تفيض هذه الإذاعات في وصفها إلى جوهر العقيدة المسيحية، وإلى ضرورة الإيمان «بألوهية السيد المسيح وصلبه» مفتاحاً لمواجهة جميع مشاكل العالم.

وهذه الأجهزة التخطيطية تقوم، إلى جانب تحديد الإطار العام والخطوط الرئيسية للإذاعات التبشيرية، بتوجيه الجوانب التدريبية والبرنامجية والفنية والتمويلية للإذاعات التبشيرية على المستوى العالمي.

مراكز التدريب:

من أهم ما تعنى به الإذاعات الدينية والتبشيرية إعداد الدعاة الذين يستطيعون استخدام الراديو أو التلفزيون أو كليهما بمهارة فائقة، وفقاً لظروف كل من المجتمعات المستهدفة.

وبالإضافة إلى معاهد التدريب الإذاعي الملحقة بالجامعات أو مراكز التدريب المتخصصة المنتشرة في بلدان أوروبا وأميركا، أُنشئت في القارة الأفريقية مجموعة من مراكز التدريب لإعداد الدعاة محلياً.

ويتولى مجلس الكنائس الأفريقية مسؤولية خاصة في تمويل هذه المراكز وتوجيهها، وله في شرق أفريقيا الناطقة بالإنجليزية مركز للتدريب الإذاعي في إطار المركز الكنسي للتدريب على الاتصال (AACC) في نيروبي، ويقدم دورات تدريبية في الإنتاج الإذاعي والأداء، بالإضافة إلى التدريب الفني. وفي غرب أفريقيا يتبع هذا المجلس مركز للتدريب الإذاعي في لومي عاصمة توجو. ويقدم هذا المركز دورات تدريبية في الإعلام الإذاعي المحلي والمركزي إلى جانب دورات عن الاتصال المباشر، والاتصال الإنمائي، والاتصال الريفي من زاوية مسيحية. كما يجري أبحاثاً إذاعية وينظّم ندوات وحلقات نقاش حول استخدام الإذاعة في الدعوة والتبشير.

وفي تنزانيا يوجد مركز لوثري للراديو يقدم دراسات نظرية وتدريباً علمياً على استخدام الراديو في «الاتصال عبر الثقافات»، أي الوجه التبشيري للإذاعات الدينية، ومقره في موشي بتنزانيا.

وفي زمبابوي تقدم الكلية المسيحية لأفريقيا الجنوبية (CCOSA) دراسات متكاملة في الإذاعة الدينية وتمنح درجات جامعية في هذا المجال.

وعلى الجانب الكاثوليكي من الجهود التبشيرية، تقوم إذاعة الفاتيكان الممولة مباشرة من الكرسي البابوي بجهود تدريبية على مستوى العالم، بالإضافة إلى مهام مكتب الاتصال لمؤتمر الأساقفة الكاثوليك.

ويتم التدريب في جميع الحالات عن طريق دورات دراسية مركزة، وحلقات بحث ومناقشة.

وتوجد في مناطق التركيز الكاثوليكي، مثل مقاطعة كيبيك في كندا، معاهد متخصصة في الإعلام الكاثوليكي يستعين بها الفاتيكان في تخريج الدعاة والمبشرين الإذاعيين.

ومعظم الأنشطة التدريبية، سواء منها البروتستانتية أو الكاثوليكية، يهتم بالجانب العملي والتطبيقي لنظريات الاتصال، وباستخدام تكنولوجيا الاتصال المتطورة إلى جانب الوسائل التقليدية التي تعتبر أكثر ملاءمة، وإن كانت أقل إبهاراً، في الدول النامية.

وتعنى البرامج التدريبية بصفة خاصة بالإخراج للراديو والتلفزيون، والأداء خاصة فنون الإلقاء. كما تتضمّن البرامج بعض الدراسات النفسية والاجتماعية والانثروبولوجية ونواحي التنظيم والإدارة المتصلة بالراديو والتلفزيون، ومعلومات هندسية وتكنولوجية تؤهل القائم بالاتصال الديني من مواجهة أي طوارىء في هذا المجال خاصة في المناطق النائية. ويخصص جانب كبير من التدريب للإعلام على المستوى المحلي واستخدام مرسلات الـ .F.M.

وعلى الرغم من افتراض المعرفة السابقة بالمحتوى الديني والتبشيري، فإن المتدربين يتلقون دروساً خاصة تربط بين العقيدة المسيحية والمشكلات الاجتماعية المعاصرة.

والواقع أن المنطقة الإسلامية تواجه الآن نشاطاً مركزاً، واسع النطاق في الوقت نفسه، يعتبر غزواً فكرياً ودينياً بعيد المدى على مختلف جبهات العقيدة والسلوك الاجتماعي تشارك فيه الإذاعات التبشيرية بمجهود مخطط وتستعين فيه بتكنولوجيا الاتصال المتطوّرة. وسواء كانت هذه الإذاعات أداة للدعوة المسيحية في خدمة الدين المسيحي لدى معتنقيه بهدف تثبيت العقيدة، أو كانت عملاً تبشيرياً سافراً أو مقنعاً، فهي تقتضي من الإذاعات الإسلامية وقفة نظر إلى

المستقبل وإلى المخاطر التي تهدد الأمة الإسلامية ذاتها، كما تعرقل مسيرة الدعوة الإسلامية.

ومن غير الممكن أن نترك المجال الإذاعي لأمتنا، وكذلك المجال الإذاعي للدعوة الإسلامية لتستأثر به حملات التبشير المنظمة بما وراءها من تخطيط وتدريب وتمويل واستعانة بأحدث ما تقدمه تكنولوجيا الاتصال.

وليس هناك إلا خيار واحد هو التصدي إذاعياً للدفاع عن العقيدة الإسلامية وعن الفرص المتاحة أمام الدعوة الإسلامية. ولذلك الاختيار منطلقات متعددة للوصول إلى الأهداف التي تمليها علينا مسؤولية العمل الإسلامي في هذا العصر. وفي مقدمتها أن نأخذ بزمام المبادرة في التوجه إلى الجماهير وقادة الرأي بالأسلوب والوسيلة الملائمتين. وبين أيدينا صورة صادقة لنشاط الإذاعات التبشيرية تفرض علينا أن تكون لدينا على الأقل خطط وبرامج مماثلة، وأن تتعاون الإذاعات الإسلامية في بث برامج متفق عليها ومنتجة على أعلى مستوى من الجودة، خاصة في اتجاه أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

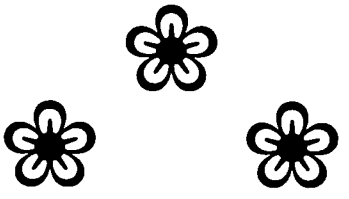

أهداف الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين

لا شك أن العالم الإسلامي يواجه تحديات عظيمة، كما قلنا، والإعلام سلاح مهم في هذه المعركة لكن يجب أن تكون له أهداف واضحة من ناحية تقديمه للإسلام بصورة صحيحة والتركيز على إلقاء الضوء على العقيدة الإسلامية وشرحها، وإيضاح ان الإسلام هو ذلك الدين القويم والرسالة الخاتمة وأنه عبادة وطريق ومنهج حياة يسعى إلى تكوين تلك الأمة الوسط من منطلق المنهج الإسلامي القويم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾، وأن يهدف إلى شرح وتوضيح وغرس القيم الإسلامية النبيلة التي تهدف إلى سعادة المجتمع ورقيّه، ويؤكد على المبادىء النبيلة التي يحثّ عليها الإسلام ويقدّم صوراً مشرقة من تاريخ العمل الإسلامي والممارسات الإسلامية والشخصيات الإسلامية. وأن يسعى لربط الأمة الإسلامية بعضها ببعض، والحرص على ألا يجعل الخلافات هي الأساس، وأن لا يعمل على تطويرها، أو الترويج لها، أو إثارتها عند صياغة الخبر، أو تصوير الحدث. بل يجب أن يكون منطلق رجل الإعلام الإسلامي هو أن يحرص على عدم إثارة الفتن بين أبناء الأمة الإسلامية، بل على العكس إبراز الجوانب الإيجابية وإعطاء صورة مشرقة عن الإسلام، والحرص كما ذكرنا على الصدقية حتى يكتسب ثقة الناس والواقعية والجودة في العرض والجودة في الأداء.

كما يجب أن يتنبّه للحملات الدعائية المغرضة ضد الإسلام والمسلمين ويحرص بالمقابل أن لا يكون دوره سلبياً، بمعنى أن دوره دور المدافع فقط، بل يبادر إلى إبراز الصور المشرقة للعالم الإسلامي وللرجال المسلمين. فإذا حدث وألصق بعض رجال الإعلام الخارجي أو أجهزة الإعلام الخارجي شيئاً عن الإسلام والمسلمين، حرص على الدفاع عنها وتفنيدها ودحضها، والعمل على تصحيح الصورة عند الشعوب والجماعات في العالم عن الإسلام، خصوصاً أولئك الذين تحرص أجهزة إعلامهم على تشويه صورة الإسلام لديهم.

كما يجب أن يكون للإعلام الإسلامي دور بارز في عملية توعية المسلمين في بلادهم بأهمية الدور الذي يجب أن يقوموا به في سبيل تحسين الصورة الإسلامية ولا بد أن يكون له عناية خاصة، أي الإعلام الإسلامي، بالأطفال والناشئة.

ومن هنا تأتي كما ذكرنا أهمية الصدقية والواقعية والانسياب العادي للمعلومات، وعدم الكذب على المشاهد وعدم التطويل في عرض الموضوعات بصورة مملة، والبعد عن العشوائية في معالجة القضايا المطروحة، واحترام رأي المشاهد، والحرص على التعامل معه والتفاعل معه، ومعرفة ما يرغبه لتكون وسيلة اتصال وتواصل وليست وسيلة بث فقط من جانب واحد، كما قلنا في بداية حديثنا.

ولا شك أن الدول الإسلامية إذا أرادت أن تصحح وضعها الإعلامي وتعمل على ربط الناس بعقيدتهم وتربيتهم الإسلامية، فلا بد أن تعمل على تحقيق الأهداف الأساسية، مثل:

١ - التعريف الصحيح بالعقيدة الإسلامية كعبادة ومنهاج حياة يحقق الخير للمؤمنين به المتمسكين بمبادئه وتعاليمه.

٢ - توضيح القيم الإيجابية البناءة التي يؤكد عليها الإسلام لإسعاد المجتمع والارتقاء بأفراده.

٣ - تأكيد المبادىء النبيلة التي يحثّ عليها الإسلام لتحقيق العدل والتضامن والتكافل بين جميع المسلمين في مواجهة الشدائد في أسمى صور الإيثار وإنكار الذات.

٤ - التعريف بأحوال المسلمين وإذاعة أخبارهم في مختلف بقاع العالم وتذكير المسلمين بمشاكل إخوانهم والتحديات التي تواجههم، واقتراح الوسائل المناسبة لمساعدتهم.

٥ - إبراز الجوانب الإيجابية والتأكيد على الإنجازات التي تحقّقت في الدول الإسلامية، وعدم الخضوع لسيطرة الإعلام الغربي لتصحيح الاختلال الكمي والكيفي الذي يميز هذا الإعلام في تقديمه للمجتمعات الإسلامية.

٦ - التعريف بالشخصيات الإسلامية التي أسهمت في صنع التقدم والتطور في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٧ - تفنيد الدعايات الكاذبة والافتراءات التي يشنّها أعداء الإسلام وخصومه مستعينين في ذلك بوسائل الإعلام واسعة الانتشار، وكذلك من خلال الأعمال الأدبية والفنية التي تصور المسلمين بشكل لا يتفق مع الواقع خدمة للمخططات الصهيونية والإلحادية.

٨ - تصحيح الصورة الذهنية التي تكونت عند بعض الشعوب والجماعات عن الإسلام والمسلمين، عن طريق تقديم الواقع الحقيقي للسلوك الإسلامي القويم، وشرح أبعاد الفكر الإسلامي من خلال قضايا المجتمع الحقيقية والمعاصرة.

٩ - توعية المسلمين في بلاد العالم المختلفة بدورهم الحاسم في تكوين صورة الإسلام عند غير المسلمين والتصدّي للدعايات المغرضة، وتصحيح الصور الخاطئة والمفاهيم الباطلة التي يحاول أعداء الإسلام الترويج لها.

١٠ - التأكيد على أهمية القيم الروحية في استعادة التوازن المفقود لهذا العالم

الذي طغت فيه المادة ودور الأديان في تعميق هذه القيم، دون الدخول في تفاصيل الديانات الأخرى[1].

١١ ـ الاستفادة من التقنيات الحديثة وتوظيفها لخدمة الأهداف الإعلامية.

١٢ ـ العناية بقضية إعداد الكوادر المدرّبة وتدريب العاملين على رأس العمل.

١٣ ـ الحرص على الارتباط بالناس والتفاعل معهم وتحسّس رغباتهم وتوجهاتهم.

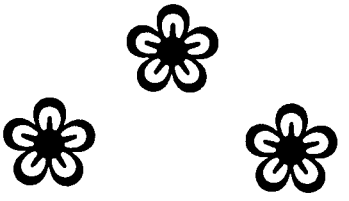

(١) الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين ـ أ. د. علي عجوة ـ من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ـ القاهرة ـ ذو القعدة ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

الخاتمة

وبعد، عزيزي القارىء:

فهذه خواطر وآراء ومقترحات وقراءات ونظرات لما ينبغي أن يكون عليه الإعلام الإسلامي الذي يطوع التطور التكنولوجي والتقدم الإعلامي لتحقيق مبادىء الإسلام السامية، وضعتها من خلال تجربة عميقة وعبر سنوات عدة في مجال الإعلام، وحررها قلب يخفق بالإسلام وحبه والدفاع عنه وأمل يشرق بغد للإسلام يسود الدنيا ويعيد الإنسانية إلى فطرتها.. ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ومن الله ألتمس الأجر والثواب..

إنه سميع الدعاء..

د. محمد عبده يماني

ملحق

- المهام والواجبات
- الأخلاقيات والمبادىء

ميثاق الشرف الإعلامي لأجهزة الإعلام الإسلامية والعاملين في ميادين الإعلام في الدول الأعضاء بالمؤتمر الإسلامي لوزراء الإعلام:

أولاً ـ المهام والواجبات

مادة (١)

تقع على عاتق الإعلام مسؤولية خاصة إزاء الإنسان المسلم، فهو ملتزم تجاهه بما يلي:

- بأن يقدم له الحقيقة الخالصة.
- بأن يعمل على تكامل شخصيته الإسلامية، وتنميتها دينياً وثقافياً وفكرياً واجتماعياً وسياسياً.
- بأن يبين له واجباته تجاه الآخرين وحقوقه وحرياته الأساسية.
- بأن يرسّخ إيمانه بالقيم الإسلامية والمبادىء الخلقية الأصيلة النابعة من الدين.

مادة (٢)

على الإعلام الإسلامي واجبات أساسية، هي نشر الدعوة الإسلامية، والتعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها، وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها بالبعض الآخر، وتعميق روح الإخاء الإسلامي فيما بينها، وتنمية الاتجاهات المشتركة في العالم الإسلامي، والسعي لتحقيق أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي.

وعلى الإعلام الإسلامي كذلك، الاهتمام بالتراث الإسلامي، وأن يسهم في إعادة كتابة وتصحيح التاريخ الإسلامي، مبرأً من شوائب التحريف والتشويه، وأن يقدم للعالم وللرأي العام العالمي، صورة حقيقية عن الإسلام، وعن الحضارة الإسلامية وآثارها وفضلها على رقيّ الإنسانية والعلوم والمعارف، وقدرتها المستمرة على العطاء، فضلاً عما تتميز به قيم روحية وعقلية سامية، ورسالة الإسلام التي قدمت للبشرية أخلد مبادىء الحرية والكرامة والمساواة والعدل، ومثل التسامح والمحبة، ولا تزال قادرة بخصائصها الفريدة، على إثراء حضارة الإنسان وترشيد حركة التقدم المتوازن للبشرية، وإضفاء الرشد والحكمة على مسيرة الإنسان.

مادة (٣)

يلتزم الإعلام الإسلامي بأن يحرص كل الحرص على مبدأ التضامن الإسلامي في جميع ما يقدمه ويعرضه على الرأي العام داخلياً وخارجياً، وأن يكرس كل إمكانياته من أجل تدعيم التفاهم والتعاون بين الدول الإسلامية وروح الأخوة بين شعوبها، وتخفيف حدة التوتر والخلاف الذي قد تتعرض له العلاقات القائمة بين هذه الدول.

مادة (٤)

يرفض الإعلام الإسلامي ـ ومن وحي الإسلام ومبادئه ـ مبادىء التمييز العنصري والتفرقة بين الشعوب على أساس الجنس أو اللون أو العقيدة أو المذهب، ويجاهد في سبيل الحق والعدل والحق والمبادىء والمثل العليا،

كحق الأفراد في الحرية والكرامة الإنسانية، وحق الشعوب في تقرير مصيرها بإرادتها الحرة.

مادة (٥)

يلتزم الإعلاميون المسلمون:

أ - بالجهاد ضد الاستعمار بأشكاله كافة، القديم منها والحديث، والعدوان بشتى صوره، والحركات الفاشية والعنصرية.

ب - بالجهاد ضد عدوان إسرائيل الصهيونية والاستعمار الاستيطاني، وأشكال القمع والقهر والبطش التي يمارسها الكيان الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني البطل الصامد.

ج - باليقظة الكاملة لمواجهة الغزوات الثقافية الضارية التي تستهدف تقويض الذات الإسلامية وتخريب المقومات والأصول العقائدية والثقافية لأمتنا ومقدراتها وحضارتها، واقعاً ومستقبلاً ومصيراً.

د - بمساندة الشعوب النامية والصديقة في تحقيق نهضتها والدفاع عنها ضد المحن والأخطار التي تتعرّض لها.

هـ - بالتنسيق الموضوعي والتعاون الفعّال مع الإعلاميين في الخارج بغية التأثير على الرأي العام العالمي لصالح قضايا وشعوب أمتنا والدول النامية والصديقة.

و - بالتمسك بالأصالة ووصل ما انقطع بين التراث والمعاصرة، وبالانفتاح على الحضارة الإنسانية، وتوظيف معطياتها الإيجابية لصالح الإنسان والمجتمع الإسلامي، وتعميق أواصر التعاون بين جميع الشعوب، بما يحفظ لها خصائصها الذاتية وهوياتها المتميزة، ويثري الثقافات في ظل توازن حقيقي، ودون حيف أو طغيان.

ز - بالتأكيد على أن الأمة الإسلامية تمد يدها إلى كل شعوب الدنيا،

للتعاون من أجل توفير أسباب الحرية، والتنمية الشاملة والمتوازنة، والاستقرار والتقدم والسلام القائم على العدل، انسجاماً مع جوهر القيم الإسلامية.

مادة (٦)

يلتزم الإعلام وهو يعطي المواطن، أن يتلقى منه، وأن يتيح له فرص المشاركة بالرأي والنقد والتوجيه وحق الرد وطرح المشكلات ووجهات النظر، إثراءً للعملية الإعلامية الاتصالية، وتدعيماً لحق الإعلام وترشيداً للأداء العام، وتحقيقاً للتجاوب والتفاعل بين المعطي والمتلقي، وبين الدولة والمواطن، وتأكيداً للالتزامات المتبادلة، وإغناء القرار، وتعميقاً للإدراك بالواجبات والحقوق، وتعزيزاً لروح المسؤولية الفردية والمجتمعية والتضامنية، ودعماً للبناء والتنمية الشاملة واستراتيجياتها على مستوى كل دولة إسلامية وبين الدول الإسلامية.

مادة (٧)

يلزم الإعلام ـ وعلى الخصوص في الإذاعة المسموعة والمرئية ـ بالتدقيق فيما يذاع ويعرض من برامج وأفلام ومسلسلات إسلامية وأجنبية، حماية للأجيال الصاعدة، ولثقافة الشباب، ومختلف الأجيال، حرصاً على القيم التربوية والسلوكية الصحيحة وصيانتها من التأثيرات السلبية والضارة لبعض مضامين المواد الأجنبية والمحلية على السواء، وحفاظاً على شخصيتها من الذوبان، وتأكيداً لوعيها بضرورة عزل التأثيرات الخطيرة المحدقة بالثقافة الإسلامية، وإبطال مفعولها، وتحصيناً للقيم الأصلية للفرد والأسرة والمجتمع.

ثانياً ـ الأخلاقيات والمبادىء

مادة (٨)

يلتزم الإعلاميون المسلمون بالأسلوب الأخلاقي العفّ الكريم في تأدية رسالتهم.

وحرصاً على قدسية المهنة وشرفها، وصوناً لكرامة الأمة وسمعتها ومكانتها في المجتمع الدولي،

وإسهاماً في توحيد القوى الإسلامية، وتعبئة الرأي العام الإسلامي تعبئة صحيحة،

- فإن الإعلاميين المسلمين، عليهم ـ مع التمسك الكامل بتعاليم الإسلام وآدابه ـ الالتزام بتجنب نواهيه، فعليهم تجنّب الألفاظ النابية والعبارات السوقية والكلمات المبتذلة، فما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحّاشاً ولا لعّاناً.

- وعليهم تحاشي الانفعال والانسياق في تيارات العصبية العنصرية أو الاقليمية وغيرها، فقد سوّى الإسلام بين الجميع، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقال: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

- وعليهم الإعراض عن السخرية واللمز والتنابذ والطعن الشخصي والقذف والتجريح والسب والمهاترات، ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾.

مادة (٩)

عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾.

فعليهم، وعلى الخصوص في مجال الصحافة ووكالات الأنباء ونشرات الأخبار، ألا يبادروا بإذاعة ما يلبي التمني أو يثير الخوف دون تمحيصه ورده إلى قياداتهم وأولي الأمر منهم وأجهزة التحليل والاختبار والدراسة، ومن ثم يتعين عدم إذاعة ونشر الأخبار المغرضة أو المشكوك في صحتها أو ترويج

الإشاعات المضلِّلة، وخاصة في أوقات الجهاد والأزمات.

وعليهم التأكد من صدق الأخبار ودقة مصادرها، والالتزام ـ إذا ما تبين عدم صحتها بحق الرد، والتصحيح سواء طلب منهم ذلك أو لم يطلب.

وهم مدعوون إلى رد المعلومات غير الموثقة أو المغرضة إلى القيادات لتمحيصها وتحليلها ومعرفة اتجاهاتها.

وهم مدعوون لاعتماد المصادر الرسمية للدول الأعضاء باعتبارها أوثق المصادر فيما يخص أخبارها.

والامتناع عن تبني وسائل غير مشروعة أو غير لائقة للحصول على الأخبار، والمحافظة على عدم إذاعة ما يضر بالأمن الوطني أو القومي أو الإسلامي.

مادة (١٠)

تلتزم وسائل الإعلام بعدم اللجوء إلى أي تمويل داخلي أو خارجي يؤثر على حريتها ورسالتها، أو ينزلق بها إلى مواقف تتعارض مع الواجب الديني وواجباتها إزاء مجتمعاتها وسياساتها وأخلاقيات المهنة.

مادة (١١)

يؤكّد الإعلاميون المسلمون التزامهم بهذه الأخلاقيات ويعملون بها، وفق الأسس التالية:

أ ـ ترسيخ إيمان المسلم بدينه ومقدساته والقيم والمبادىء الإسلامية.

ب ـ تعميق القيم الأخلاقية والسلوك للفرد والمجتمع المستمدة من الدين والتقاليد الإسلامية الأصيلة.

ج ـ الدعوة إلى بث الأمل والتفتح للحياة، والابتعاد عما يشيع روح اليأس والإحباط والهزيمة.

د ـ الامتناع عن نشر وترويج ما يمسّ الآداب العامة أو يوحي بالانحلال الخلقي الفردي أو الجماعي، أو يرغب في الجريمة والعنف والانتحار

والرعب وما إلى ذلك، بطريق مباشر أو غير مباشر.

هـ - الاهتمام بالطفل والناشئة والشباب والرجل والمرأة وكبار السن، وبصفة عامة المحافظة على كيان الأسرة واحترام تقاليد المجتمع الإسلامي النبيلة وتنمية أخلاق النشء، والصحة النفسية للطفولة، والأمومة.

و - مكافحة المسكرات والمخدرات والمقامرة والمراهنات، وعدم إظهارها كعلاج لما يواجه الإنسان من مشكلات أو أزمات.

ز - مكافحة الجرائم كافتها، وخاصة الجرائم الخلقية، وكل ما من شأنه أن يروج لها، وكذلك الأخذ بالثأر.

ح - فيما يخص الإذاعة المسموعة والمرئية، فإنه عند إذاعة الأعمال أو البرامج أو الأفلام البوليسية أو تلك التي تحتوي على جريمة، فإنه لا بد ألا تعرض الجريمة بشكل يشجّع عليها أو يرغّب فيها أو يغري المتابع بمحاكاتها، كما أنه يجب ألا يقدم المجرم بشكل أو بطريقة تدعو إلى التعاطف معه بأي حال من الأحوال، كما لا يسوغ أن يظهر المجرم بمظهر بطولي، على طول العمل الفني، اكتفاءً بإيقاع الجزاء عليه في اللحظة أو الحلقة الأخيرة من العمل، ويجب أن يظهر الجزاء عادلاً ورادعاً.

ط - احترام المهن المشروعة وأصحابها أياً كانت، وأصحاب العاهات والمتخلفين عقلياً، وعدم إذاعة ما من شأنه المساس بهم أو السخرية منهم أو تحقيرهم. فضلاً عن ضرورة الاهتمام بمشكلاتهم واحتياجاتهم في وسائل الإعلام.

ي - مكافحة الأمية والأمية الوظيفية، والعمل على تنمية الثقافة العامة، وإحياء الفنون الشعبية وتطويرها، والفنون الراقية، وبناء وتربية التذوق الفني الرفيع والذوق السليم للفرد والمجتمع.

ك - الالتزام إزاء الفنون، بوضعها وعرضها في الإطار الذي يتفق والآداب العامة ولا يخدش الحياء.

ل - الامتناع عن إذاعة ونشر الإعلان التجاري في حالة تعارضه مع الأخلاق العامة، أو إذا كان يؤدي إلى تنميط اجتماعي ضار.

م - التمسك بمبادىء المساواة والعدالة واحترام حقوق الإنسان والدعوة لها، والابتعاد عما يحبّذ التفرقة بين الناس لأي سبب كان.

ن - الالتزام باحترام الشرعية، وعدم المساس بهيبة العلماء ورجال الهيئة القضائية ورجال الأمن وتعزيز الاحترام لهم.

حـ - خدمة الاتجاهات لإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية بالتعريف والتنوير وصولاً إلى استرداد السيادة التشريعية، حيثما تكون الحاجة.

مادة (١٢)

يلتزم الإعلاميون المسلمون بالمحافظة على سلامة اللغة العربية، لغة القرآن، وبلاغتها وصيانتها من مزالق الدارجة والعامية، والعمل على نشرها بين أبناء الأمة الإسلامية لتكون لغة الحديث ووسيلة التفاهم بينهم، وتشجيع إنتاج الأعمال الفنية باللغة العربية وتبادلها وترويجها.

مادة (١٣)

يجب على أجهزة الإعلام الإسلامية أن تعطي الأولوية للأخبار والمواد الإعلامية الإسلامية عامة، وللأخبار والمواد الإعلامية التي تقدمها أجهزة الإعلام الإسلامية الرسمية ووكالات الأنباء في الدول الإسلامية.

مادة (١٤)

يعلم الإعلاميون الإسلاميون على إبراز الكفاءات والمواهب والإبداعات والعبقريات الفردية لأبناء الأمة الإسلامية في مجالات الثقافة والعلوم والفنون وسائر المعارف، واكتشاف وتشجيع المواهب في صفوف الأجيال الصاعدة وإظهارها، وتزكية إسهاماتها في إثراء الحياة الفكرية والفنية، كما يتبادلون المعلومات حول هذه الكفاءات بما ينميها ويعزز دورها ويمثل إضافة إلى الرصيد

الثقافي والحضاري.

مادة (١٥)

تقع على العاملين في أجهزة الإعلام الإسلامية مسؤولية كبيرة تجاه الأمة الإسلامية اجتماعياً وتربوياً وثقافياً، ولذلك يتعين على هذه الاجهزة أن تستقطب العناصر الممتازة للعمل بها، وأن تراعي في اختيارها المواهب والكفاءات والمستوى الخلقي والفكري.

وبالنظر لهذه المسؤولية، فإنه ينتظر منهم:

أ - أن يضعوا نصب أعينهم خدمة الأمة الإسلامية كوحدة متكاملة.

ب - أن يلتزموا الصدق الخلقي والفني والموضوعي.

ج - أن تكون لديهم صورة واضحة عن احتياجات المجتمع ومقوماته، وأن يكونوا على صلة بالأحداث العامة وأوضاع الأمة الإسلامية والأوضاع الدولية.

د - أن يعرضوا وجهات النظر المختلفة بلا تحيُّز إلا لصالح الأمة الإسلامية.

هـ - أن يعملوا على تنمية كفاءاتهم وخبراتهم الثقافية والفنية لإثراء خبراتهم في خدمة المتلقين.

مادة (١٦)

نظراً لأن شعوب الأمة الإسلامية تجتاز مرحلة حاسمة تتعرض فيها لأخطار وعمليات الإجتياح الثقافي والغزو الفكري متعدد الوجوه، فضلاً عن التعتيم على قضاياها وتشويه صورتها،

ولما كانت الأمة قد استعصت في الماضي على الذوبان والانصهار في بوتقة الاستعمار بأشكاله العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ولا تزال تقاوم هجماته الشرسة على كل صعيد،

فإن الإعلاميين يدركون أن الأمة الإسلامية لم يتأتّ لها الصمود أمام الأخطار

التي واجهتها إلا في ظل الإسلام والتمسك بكتابه وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم والعمل بهديهما، وأن الاستعمار لم يحقق مكاسبه إلا في غياب الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجاً كاملاً للحياة.

ومن ثم، فإنهم ـ وإدراكاً منهم لمسؤوليتهم في هذا الخصوص ـ يؤكدون انتماءهم الأصيل للإسلام في منابعه المبرأة من الشوائب، ويدركون أهمية الجدية وتغليبها على مستوى ومضمون المادة الإعلامية التي يقدّمونها، انسجاماً مع متطلبات ما تواجهه شعوبهم على مستوى مجمل حركة العمل الوطني والإسلامي.

وهم يضعون في اعتبارهم أنهم أجدر بذلك من بعض أكثر الدول تقدماً في عالم اليوم، التي تخصص أكثر من نصف برامج إذاعاتها للمواد الثقافية والعلمية والعملية الجادة، بما في ذلك تحويل بعض الإرسال إلى جامعات مفتوحة على الهواء، والعناية بالتعليم عن بعد.

مادة (١٧)

يؤكد الإعلاميون التزامهم بالعمل المخلص والجهاد المستمر للإسهام في رقيّ أوطانهم وفي رقي الدول الإسلامية في كل مكان، ورفد استراتيجيات التنمية الشاملة على كل الصعد اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً وتعليمياً وإعلامياً.

والتزامهم بتعزيز الإيجابيات على صعيد العمل الإسلامي المشترك، والإسهام في تضييق الفوارق ومساحات الاختلاف الطارئة حيثما تكون، تعزيزاً وترشيداً لمجمل العمل الوطني والإسلامي.

إننا من جانبنا، وقد طرحنا هذه النظامية المتكاملة من القيم الحاكمة للعمل الإعلامي الإسلامي كما ارتضاها ـ فيما يرى ـ الضمير الإعلامي المسلم، نقترح على الدول الإسلامية، أن تلحق نص هذا الميثاق بقوانين المطبوعات أو القوانين ذات العلاقة المعمول بها في بلادها، حتى تصبح لها الصفة القانونية والنظامية الملزمة.

المراجع

- المراجع العربية
- المراجع الأجنبية

المراجع العربية:

١ - الأسس العلمية لنظريات الإعلام. د. جيهان أحمد رشتي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٩٧٨.

٢ - الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق. د. محمد علي العويني، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى ١٩٧٨.

٣ - الإعلام في صدر الإسلام. د. عبد اللطيف حمزة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨.

٤ - الإعلام والتنمية. د. محمد سيد محمد، مكتبة كمال الدين، الطبعة الأولى.

٥ - أقمار الفضاء غزو جديد. د. محمد عبده يماني، الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، ١٩٨٤، سلسلة بحوث ودراسات تليفيزيونية ـ ٩.

٦ - بحوث الإعلام، الأسس والمبادىء. د. سمير محمد حسين، مؤسسة دار الشعب، الطبعة الأولى ١٩٧٦.

٧ - السيرة لابن هشام.

٨ - المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية. د. محمد عبده يماني.

٩ - وثائق لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية.

١٠ - وسائل التعليم والإعلام. د. فتح الباب عبد الحليم سيد، د. ابراهيم ميخائيل. عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٩٧٦.

المراجع الأجنبية

(1) Brown James, Lewis R. Harcleroad, Fred,«Av Instruction Technology Media and Methods», MCGRAW - Hill Book Company 1973.

(2) The Corter for Understanding Media, «Doing the Media» N.Y. 1972.

(3) Darnel Donald K. «Information Theory», in Joseph A. Devito (ED) Communication. Concepts and Process (N.J. Englewood Cliffs Prentice Hall 1971).

(4) Hale, Julian, Radio Power, Propaganda and International Broadcasting, Paul Elek, London 1975.

(5) Klapper, Joseph T., «The Effects of Mass Communication». New York, Free Press 1960.

(6) Rapport, Anatol, «What is Information» in Smith (ED) Communication and Culture (N.Y. Holt, Rinehart and Winston, 1966).

(7) Schramm Wilbur, «Information Theory and Mass Communication», Journalism Quarterly, Spring 1955).

المؤلف في سطور

* الدكتور/ محمد عبده يماني
* ولد في مكة المكرمة عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م.
* من رجالات الإعلام والأدب والفكر في المملكة العربية السعودية.
* تلقى تعليمه الأولي على أيدي المشايخ في الحرم المكي الشريف ثم اكمل تعليمه في مدارس الفلاح بمكة المكرمة.
* تخرج من جامعة الملك سعود وحصل على الماجستير والدكتوراة من جامعة كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية في الجيولوجيا - اقتصاديات المعادن - وكانت رسالته عن الثروات المعدنية في المملكة العربية السعودية.
* تولى العديد من المناصب منها أستاذ في جامعة الملك سعود بكلية العلوم ثم وكيلاً لوزارة المعارف، ثم مديرا لجامعة الملك عبدالعزيز فوزيراً للإعلام وبعد ذلك عاد للتدريس في جامعة الملك عبدالعزيز.
* الدكتور من المهتمين بالسيرة النبوية وقضية تبسيطها وتيسيرها، وتيسير الإطلاع على مصادرها وكذلك بتصنيف الحديث النبوي بواسطة الحاسب الآلي.
* ومن إهتماماته قضية تطوير التعليم في البلاد الإسلامية وربط التعليم بقضايا التنمية وكذلك موضوع قضايا الأقليات المسلمة في العالم حيث يقضي وقته متنقلاً بين مناطق الأقليات خاصة في إفريقيا وشرق آسيا.
* له مشاركات غزيرة وثرية في الصحافة والأدب فله البحث العلمي والمقالة الجادة، والقصة الهادفة والرواية الطويلة.
* وهو عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى للدعوة والإرشاد ويشارك في الجمعيات الخيرية في العالم الإسلامي.

من مؤلفات

الدكتور محمد عبده يماني

* علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ
* علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ
* روسيا والمسلمون ومحنة الانفتاح الجديد
* المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية
* الاعلام العربي مابعد أزمة الخليج
* نظرات علمية حول غزو الفضاء
* الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال

* ABOY FROMMAKKAH
* هل نحن وحدنا في هذا الكون
* وكشفت أزمة الخليج عوراتنا
* قادم من بكين والإسلام بخير
* هكذا حج رسول الله ﷺ
* تأدبوا مع رسول الله ﷺ
* كيف صام رسول الله ﷺ
* بأبي أنت وأمي يا رسول الله
* أقمار الفضاء غزو جديد
* الجيولوجيا الاقتصادية
* للعقلاء فقط (جزأن)

* آحاديث في الإعلام
* حوار مع البهائيين
* إمراة في الظلام
* مشرد بلا خطيئة
* التأمين بالدعاء
* فتاة من حائل
* اليد السفلى
* جراح البحر
* وداعا هالي
* إفريقيا لماذا
* البابية

دار ثقيف للنشر والتأليف
٤٧٦٥٤٢٢ ٤٧٦٢٤٣٨
٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧